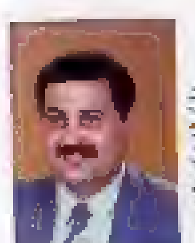

روايات مصرية للجيب
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل
المحترفون
144
www.liilas.com/vb3
^RAYAHEEN^



د. نبيل فاروق

المحترفون

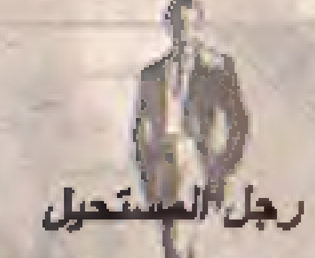
- ما حقيقة خبر مصرع (أدهم صبري) وسط رجال (كاريتا) في (نيويورك)؟!..
- ما مصير (عماد)؟ وأين أخفى بطاقة التسجيل الرقمية، التي تكشف لعبة الإسرائيليين؟!..
- ترى هل تحصل (مصر) على تلك الأوراق السرية، أم يخسر (المحترفون)؟!..
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل.. (رجل المستحيل)..

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالإثارة

144

العدد القادم (الورقة الأخيرة)

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع



رجل المستحيل

(أدهم صبري).. ضابط مخابرات مصري، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعني أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعني أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبري) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حيّة، وبراعته الفائقة في استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبري) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبري) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١- الشيطان..

انطلقت تنهيدة عميقة، من أعماق صدر طبيب السفارة الإسرائيلية، في قلب العاصمة الإيطالية (روما)، وهو يجفف العرق الغزير، المتصبب على وجهه، على الرغم من برودة الطقس، وأشار إلى جسد رجل المخابرات المصري (عماد رامز)، الغارق في غيبوبة عميقة، داخل حجرة عناية مركّزة سرية، في قبو مبنى السفارة، وهو يقول في إرهاق واضح:

- لقد تجاوز مرحلة الخطر.. أخيرًا.

انعقد حاجبا رجل (الموساد) (بل جراهام)، وهو يتطلع إلى جسد (عماد)، قبل أن يسأل الطبيب في صرامة:

- متى يمكننا انتزاع الحقيقة منه؟!

تردد الطبيب بضع لحظات، وهو يبحث عن جواب حاسم، لولا أن قال (دافيد دونهلم)، مسئول أمن السفارة في صرامة:

- لاداعي للتوتر يا أدون (جراهام).. إنها مسألة وقت فحسب.

استدار إليه (جراهام) في حدة، قائلاً في غضب:

- لا تدس أنفك فيما لا يعنيك يا (دونهلم).

أجابه (دونهلم) في صرامة متحدية:

- الأمر صار يعنيني، منذ تورط رجالي فيه يا رجل (الموساد).

صاح فيه (جراهام) في حدة:

- رجالك أفسدوا كل شيء، ولم ينجحوا في السيطرة على عميلين مصريين، في قلب (روما)، التي تدعي أنها في قبضتك.

نطقها، وعقله ينطلق كصاروخ غاضب، مستعيداً ذكرى تلك العملية، منذ لحظتها الأولى..

منذ تسلل (عماد) إلى منزل (جون روتشيلد)، مستشار الأمن القومي الإسرائيلي في (روما)، واستولى على أوراق سرية بالغة الخطورة، تثبت تورط جهاز المخابرات الإسرائيلي، في عملية الهجوم على مركز التجارة العالمي في (نيويورك)، في الحادي عشر من سبتمبر، عام ألفين وواحد..

وفي اللحظة الأخيرة، انكشفت العملية..

وكانت مطاردة عنيفة..

مطاردة انتهت بإصابة (عماد)، وسقوطه في قبضة الإسرائيليين، الذين استعادوا أوراقهم السرية..

وكانت بانتظارهم مفاجأة..

مفاجأة مخيفة..

ففي جعبة (عماد)، عثروا على آلة تصوير رقمية حديثة، بدون بطاقتها الإليكترونية، التي يتم تسجيل الصور الرقمية عليها..

وكان هذا يعنى أمرًا واحدًا ..

لقد التقط (عماد) صورًا رقمية للأوراق ..

وأخفى بطاقة التسجيل فى مكان ما ..

مكان مجهول ..

وفى الوقت الذى قلب فيه الإسرائيليون المنطقة كلها، ونبشوا كل شبر فى المبنى وسطحه، بحثًا عن البطاقة الإليكترونية، كان (أدهم) يخوض حربًا عنيفة فى (نيويورك)، مع دونا (كارولينا) ورجالها، بعد إصرارها على احتجازه هناك، ليتعاون معها، فى حربها ضد زعماء العائلات الأخرى ..

ولأن (جيهان)، زميلته السابقة المصرية، كانت رهينة فى قبضة دونا (كارولينا)، كان على (أدهم) أن يقاتل بمنتهى العنف ..

ومنتهى البراعة ..

ولأنه من المستحيل أن تقف المخابرات المصرية

ساكنة، فى موقف كهذا، فقد تقرر إرسال ضابط مخابرات مصرى آخر إلى (روما)، فى محاولة لاستعادة بطاقة التسجيل الرقمية، والسعى لإنقاذ (عماد) لو أنه لايزال على قيد الحياة ..

ووقع الاختيار على (منى) ..

المقدم (منى توفيق) ..

وفى (روما)، بدأت المخابرات الإسرائيلية تطارد (منى) فى شراسة، وراحت هى وزميلها (أشرف)، مندوب المخابرات المصرية، فى العاصمة الإيطالية، يقاتلان فى استماتة، حتى نجحا فى الفرار من قبضة الإسرائيليين، فى نفس اللحظة التى وصل فيها خبر مخيف، إلى جهازى المخابرات المصرى والإسرائيلى، فى آن واحد ..

خبر مصرع (أدهم)، على يد رجال دونا (كارولينا) فى (نيويورك) ..

وكانت صدمة لـ (منى) ..

صدمة قاسية ..

للغاية(*) ..

ومن المؤكد أنه هناك أمور عديدة، لم يعلم بها رجال الموساد (بل جراهام)، وهو يهتف في عصبية ثائرة ..

- ووجود علماء مصريين هنا، يجعل الوقت عاملاً شديد الحيوية والخطورة.

ابتسم (دونهام) ابتسامة واسعة، حملت لمحة عجيبة من التشفي، وهو يقول:

- لا داعي لأن تشغل نفسك بهذا أيضًا، يا (دون جراهام).

صاح فيه (جراهام)، في عصبية بالغة:

- ولماذا أيها المتحذلق ؟!

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الأول (الأوراق المكشوفة) .. المغامرة رقم (١٠٣).

اتسعت ابتسامة (دونهام)، وازدادت تشفيًا، في نفس اللحظة التي ارتفع فيها صوت هادئ صارم، يقول:

- لأنك لم تعد مسئولاً عن العملية بعد الآن يا (جراهام).

كتم (دونهام) ضحكته الساخرة المتشفية بصعوبة، في حين استدار (جراهام) في حدة إلى مصدر الصوت، قبل أن يجف حلقه، وتتسع عيناه عن آخرهما، وهو يحدق في أخطر رجال (الموساد) على الإطلاق ..

(شيمون) ..

(شيمون دوريك) ..

شخصيًا ..

* * *

« مستحيل يا (أشرف) !.. مستحيل !!.. » ..

هتفت (منى) بالعبارة، فى لهجة أقرب إلى البكاء، قبل أن تلوّح بيدها، مستطردة فى مرارة:

- لايمكن أن يموت (أدهم) بهذه البساطة.

غمغم (أشرف) فى تردد:

- كل البشر يموتون ياسيادة المقدم.

انحدرت الدموع من عينيها، وهى تقول بكل مرارة الدنيا:

- ولكننى لم أتصور قط أنه يموت بهذا الأسلوب.

تنهّد، متمتمًا:

- تعددت الأسباب، والموت واحد، وسبحان الحى الذى لايموت.

غمغمت:

- صدقت.

ثم انفجرت باكية فى مرارة وحرارة، مما جعله

يلوذ بالصمت طويلاً، حتى هدأت، واعتدلت تجفّف دموعها، قائلة فى حزم:

- هل يزعجك أن ترى ضابطًا بالمخابرات يبكى؟!..

تنهّد، مضيفًا:

- نحن بشر ياسيادة المقدم.

قالت فى حزم أكثر:

- (أدهم) أيضًا بشر، ولكنه لايبكى أبدًا.

قال فى سرعة:

- ولكنه إ...

بتر قوله بغتة، عندما بدا له أنه من غير اللائق أن يواصل حديثه، ولكنها فهمت مايعنيه، فانعقد حاجباها فى صرامة، وهى تقول:

- (أدهم) كان سيكره رؤيتى أبكى، فى أول عملية منفردة لى.

لم ينبس ببنت شفة ، وهو يرافقها في قلق ، عندما نهضت واقفة في حزم ، وهي تسأله :

- ألديك خريطة للمبنى ، الذي تسلل إليه (عماد) ، من أجل تلك الأوراق ؟!

شعر بالمقاومة المستميتة في أعماقها ، والتي يحتاج بذلها إلى إرادة غير طبيعية ، كما لو أنها تحاول أن تثبت لـ (أدهم) ، قبل أن تثبت لنفسها ، أنها تستطيع احتمال الموقف ..

من أجله ..

ومن أجل (مصر) ..

ودون أن ينبس ببنت شفة ، نهض (أشرف) يحضر خريطة كبيرة ، فردها كاملة أمامها ، قبل أن يقول ، في صوت خافت :

- هذا هو التصميم المعماري الكامل للمبنى .

فوجئ بها تقول في صرامة محتدة :

- لماذا تخفض صوتك هكذا ؟!.. المفترض أننا داخل منزل آمن .. أليس كذلك ؟!

شد قامته ، وهو يجيب في سرعة :

- بلى يا سيادة المقدم .

كانت تبذل حقاً جهداً يفوق قدرات البشر ، للسيطرة على انهيار مشاعرها ، بعد سماعها خبر مصرعه ..

مصرع (أدهم صبري) ..

كل ذرة في كيانها كانت تبكي بكل مرارة الدنيا من أجله ..

كل خلجة من خلجات روحها كانت تنتحب لفراقه ..

كل نبضة في قلبها كانت تصرخ باسمه ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

الدماء التي تجري في عروقها كانت حممًا ملتهبة ،
تلتهم روحها بلا رحمة ..

بلا هوادة ..

بلا دموع ..

الدموع الساخنة لم تعد تنهمر من عينيها ..

لقد أصبحت تنهمر من كيانها كله ..

من قلبها ..

وعقلها ..

وروحها ..

الدموع تنهمر ..

وتنهمر ..

وتنهمر ..

ولكن عينيها أصبحتا جافتين ..

هذا لأن كلماته مازالت تدوي في أذنيها ..

« عندما يتعلق الأمر بأمن وسلامة (مصر) ، فلابد وأن تنزاح كل المشاعر الأخرى جانبًا ، مهما بلغت قوتها ، أو بلغ عمقها .. » ..

« إذا ما ارتفع صوت (مصر) ، فلتنخفض كل الأصوات الأخرى ، حتى صوت القلب نفسه .. » ..

« الأشخاص ، مهما كانت أهميتهم ، يأتون ويذهبون ، ولكن (مصر) باقية ، مهما طال الزمن .. » ..

عبارات طالما رددها (أدهم) على مسمعها ..

وطالما عمل بها ..

كان يستجيب لنداء (مصر) دومًا ..

مهما كان الثمن ..

مهما كان ..

وهي الآن تستمع إلى كلماته من ذاكرتها ..

تستمع إليها من أعماق أعماق وجدانها ..

وتنفذها ..

كما أراد تماماً ..

ودوماً ..

«زميلنا (عماد) خرج من هنا، متجهاً إلى السطح مباشرة .. » ..

نطقتها في حزم وعزم، لا يشفّان أبداً عما يلتهب في أعماقها، وهي تشير إلى خريطة المبنى، و(أشرف) يتابع سبابتها ببصره، قائلاً:

- هل تعتقدين أنه هناك مكان، يصلح لإخفاء بطاقة التسجيل الرقمية ؟!

صمتت بضع لحظات، قبل أن تجيب في حزم:

- لإجابة هذا السؤال، لن تصلح الخرائط، مهما بلغت دقتها.

واعتدلت مضيفة:

- لابد من زيارة ميدانية.

سألها في حذر:

- أتعتقدين أنه بإمكانك القيام بهذا ..

سألته في صرامة:

- ولم لا ؟!

أجابها في تردد:

- أعني بعد سماع خبر ال... ال...

قالت في صرامة أكثر:

- في عالمنا، لا مجال للأحزان الشخصية يا رجل.

وصمتت لحظة، قبل أن تضيف، بكل صرامة الدنيا:

- إننا محترفون.

وانهمرت الدموع في أعماقها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

بدا (شيمون) باردًا، كلوح من الثلج، في أعماق القطب الشمالي، وهو يدير عينيه في سطح المبنى، الذي فرّ منه (عماد)، قبل أن يطلق عليه قنّاص الهليكوبتر رصاصته، ثم لم يلبث رجل (الموساد) الجديد أن التفت إلى (جراهام)، يسأله:

- من آخر من رآه، قبل أن يقفز من السطح؟!

أجابه (جراهام) في عصبية، لم يستطع إخفاءها:

- رجال أمن المستشار.

تقدم (شيمون) من حاجز السطح، عند النقطة التي قفز منها (عماد)، وفحص المكان بمنتهى الدقة، قبل أن ينحني ليفحص شق صغير أسفل الحاجز، فقال (جراهام) بنفس العصبية:

- لقد فحصنا المكان كله شبرًا شبرًا

قال (شيمون) في صرامة

- ولماذا لم تفحصوه مليمترًا بمليمتر؟!

هتف (جراهام) في حدة:

- لقد بذلنا كل ما بوسعنا.

اعتدل (شيمون)، وعقد كفيه خلف ظهره، وهو يقول في برود صارم:

- من الواضح أن هذا لا يكفي.

هتف (جراهام):

- صه يا أدون (شيمون).

استدار إليه (شيمون) بحركة حادة، وقال في صرامة قاسية

- اسمعني أنت جيدًا يا (جراهام)

انتفض جسد (جراهام)، مع الحركة الصارمة المباغتة، واتسعت عيناه عن آخرهما، دون أن

يجرى ، و (شيمون) يتابع بنفس اللهجة ، وهو يتطلع
إلى عينيه مباشرة ، بنظرة مخيفة .

- أسلوبك هذا لا يتناسب قط ، مع طبيعة رجل
مخابرات إسرائيلى محترف . أنت عصبى ، متهور ،
تتحرك بانفعال أعمى ، وتسىء التعامل مع مرءوسيك ،
وزملائك ، و ..

انعقد حاجباه فى شدة ، ليضفى عليه مظهراً وحشياً ،
وهو يضيف ، بلهجة ذات مغزى :

- ورؤسائك .

امتقع وجه (جراهام) فى شدة ، وقد أدرك ما يعنيه
قول (شيمون) ، الذى ألقاه أمام (روتشيلد)
و (شندلر) ، دون أن يبالى بمكانته ، خاصة وهو
يستطرد ، فى صرامة أكثر :

- وفى عملية كهذه ، لا يصح وجود شخص متهور ،
أو عنيد ، أو مقاوم للضبط والربط .. أليس كذلك ؟!

كاد صوت (جراهام) يناقض شحوب وجهه ، وهو

يقسم فى خفوت ، وعرق بارد عجيب ، ينصب على
وجهه فى غزارة :

- بلى يا فون (شيمون) .. بلى .

لم يرق خنوعه الشديد لمساعده (شندلر) ، على
الرغم من أن (شيمون) قد امتص دفعته الواحدة ،
وتجاهل الموقف كله ، وهو يلتفت إليه ، قائلاً بلهجة
آمرة :

- أريد فحص المكان كله مرة أخرى ، من حجرة
مكتب (روتشيلد) الخاصة ، وحتى حجرة السطح ،
كما أريد استجواب جميع أفراد طاقم الأمس ، الذين
تواجدوا ، فى أثناء عملية التسلل ، وأريد التقاط صور
لكل شىء ، وكل ركن ، وكل سنتيمتر .

تردد (شندلر) لحظة ، قبل أن يسأله :

- وماذا عن المصريين ؟!

التمعت عينا (شيمون) ، وهو يقول :

- سننتظرهم .

بدت الدهشة على وجوه ثلاثتهم ، وتساءل مستشار الأمن القومى الإسرائيلى فى حيرة :

ـ تنتظرهم ؟! وهل تتوقّع حضورهم إلينا ؟!

أجابه (شيمون) فى سرعة وحزم وثقة :

ـ بالتأكيد .. لابد وأن يفعلوا !

وترقصت ابتسامة مخيفة على طرفى شفتيه ، وهو يضيف :

ـ إنهم محترفون .

وفى عيون الجميع ، بدا لحظتها أشبه بشيطان ..

شيطان محترف ..

من أعمق أعماق الجحيم

* * *

٢ ـ العـودة ..

« نجحنا يا دونا .. » .

هتف (كارلو) ، مساعد دونا (كارولينا) بالعبارة ، فى سعادة جمة ، وهو يلوّح بمسدسه ، مستطردًا فى حماسة ظافرة :

ـ العائلات كلها أعلنت ولاءها ، والكل يؤيد بقاءك فى منصب الزعامة ، وسنقيم احتفالاً كبيرًا مساء الغد ، يحضره كل الزعماء الجدد ، إعلانًا لتجديد العهد ..

سألته ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، فى شىء من التوتر :

ـ وماذا عن الشرطة ؟!

أجابها فى سرعة :

-ليس لديهم دليل واحد

رمقته بنظرة باردة ، وهي تقول :

-مع كل ما أريق من دماء ؟!

أجاب ضاحكًا :

-إنهم يبذلون قصارى جهدهم لعلهم أن يثبتوا الاتهام .

انعقد حاجباها في شدة ، وغمغمت :

-نعم .. المهم الإثبات .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى انبعث صوت قائد طاقم الأمن السفلي، وهو يقول ، عبر جهاز الاتصال الداخلي :

-دونا .. بعض رجال الشرطة الفيدرالية ، يصرون على مقابلتك فورًا

هتف (كارلو) في سرعة وتوتر .

-لاتسمحي لهم بالصعود يادونا

نفثت دخان سيجارتها ، وهي ترمقه بنفس النظرة الباردة ، قبل أن تضغط زر جهاز الاتصال ، قائلة بلهجة آمرة

-دعهم يصعدون

ثم استدركت في صرامة

-واحد منهم فقط .

انعقد حاجبا (كارلو) ، الذي انتظر حتى أغلقت جهاز الاتصال الداخلي ، ليقول في عصبية .

-لماذا يا دونا ؟

لوحت بيدها ، مجيبة في حزم .

-إننا لم نرتكب خطأ ، يمنعنا من مقابلة رجال الشرطة الفيدرالية ، أو حتى رجال المخابرات المركزية

وصمتت لحظة ، لتنفث دخان سيجارتها مرة أخرى ، مكملة :

-من الناحية الرسمية .

لم تمض دقائق عشر على قولها، حتى دلف إلى حجرة مكتبها رجل قوى البنية، عريض المنكبين، يرتدى معطفًا رثًا على نحو ما، ويحمل ملامح صارمة، وهو يقدم نفسه، قائلاً:

- المفتش (كال) من الشرطة الفيدرالية.

أطلقت سيجارتها في هدوء، وهي تسأله

- ماذا تريد منا بالضبط أيها المفتش (كال)؟!

أجابها في صرامة:

- أريد تفسيرًا لما يحدث هنا يا دونا

قالت في برود:

- اسمي (كارولينا) (كارولينا كورليوني)

زفر في ضجر، وهو يقول:

- فليكن يا سيدة (كارولينا كورليوني). أريد معرفة ما الذي يحدث هنا بالضبط؟!

سألته، وهي تسترخي في مقعدها، على نحو مستفز

- وما الذي يحدث هنا بالضبط؟!

قال في حدة:

- لقد عاد بنا الزمن إلى ثلاثينات القرن العشرين فجأة، ودون سابق إنذار، وقرر بعضهم تكرار ما فعله دون (كورليوني) أبوها، وقتل زعماء العائلات بضربة واحدة، حتى تتحقق له الزعامة، أو يستقر ملكه فيها.

ابتسمت في سخرية، قائلة.

- معلوماتك التاريخية ضحلة إلى حد ما أيها المفتش (كال)، فالشائعات تقول: إن (مايكل). شقيقي الأكبر (مايكل كورليوني)، هو الذي فعل هذا، بعد موت والدنا، ومحاولة بعض زعماء العائلات الاستيلاء على لقب (الأب الروحي). ولكن أحدًا لم يستطع إثبات صحة هذا، أو حتى توجيه أي اتهام رسمي

لـ (مايكل) . فليس المهم أن يتصوّر الكل أنه الذى قتلها

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف ، فى تحد واضح :

- المهم إثبات هذا .. رسميًا

احتقن وجه المفتش ، وهو يقول فى صرامة :

- الزمن تغيّر يا دونا .. نعم ، يا سيدة (كورليونى) .

رفعت أحد حاجبيها ، وهى تقول ، فى شيء من السخرية :

- حقًا ؟!

صاح بها فجأة ، فى غضب هادر :

- نعم .. حقًا يا ، دونا .. الزمن يتغيّر ، وكل شيء يتغيّر معه .. كل شيء

قالت بنفس السخرية :

- عظيم .. أين إذن طن الأدلة والإثباتات ، الذى أتيت تحمله إلى هنا .

هز رأسه فى صرامة ، قائلاً :

- كلانا يعلم أن هذا لن يفيد .. يا سيدة (كورليونى) .

كلانا واثق من أن العشرات سيشهدون بوجودك خارج هذا الأمر ، وأننا ستجد ألف دليل على عدم وجود أية صلة لك ، أو حتى لرجال منظمتك ، بما حدث لزعماء العائلات ، بل وسيخرج إليك جيش محاميك ، لإنكار أية صلة لك بمنظمة (المافيا) ، أو حتى بأية أعمال غير قانونية ، وربما يتطوّر الأمر إلى مقاضاة كل منا ، بسبب الإساءة إلى شرفك وسمعتك

أشعلت سيجارة أخرى ، وهى تقول فى هدوء :

- عظيم أنك تدرك هذا !

قال المفتش (كلل) فى صرامة :

- ولكن ماذا عما حدث هنا ؟!

قطب حاجبا (كارلو) فى شدة ، فى حين صمتت (كارولينا) لحظة ، قبل أن تنفث دخان سيجارتها بمنتهى العمق ، قائلة :

- وماذا حدث هنا ؟!

مال المفتش نحوها ، مجيبًا فى صرامة متحدية :

ـ أحد الهواة التقط فيلمًا عجيبًا ، لشخص قفز من هذه النافذة هنا ، ودار صراع بينكم وبينه ، على نحو مذهل وعبر طبيعى ، حتى أعدتموه إلى المبنى ... ثم لم يره مخلوق بعدها قط .

قالت فى بطء ، وهى تزن كل حرف ، قبل أن تنطق به :

ـ فيلم صوره أحد الهواة ؟! أشك فى صحة هذا .

تجاهل (كال) عبارتها هذه ، وهو يسألها فى صرامة .

ـ أين ذلك الرجل يا سيدة (كيرليونى) ؟!

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تسأله :

ـ أى رجل ؟

تراجع ، مجيبًا بكل صرامة الدنيا .

ـ الرجل المعروف فى (المكسيك) و (نيويورك) رسميًّا ، باسم (أنيجو صقلو) ، والمعروف فى بعض الأوساط السرية باسم (أدهم) ... (أدهم صبرى)

رفعت أحد حاجبيها ، وهى تقول

ـ (أدهم) ماذا ؟! ... لم أسمع هذا الاسم من قبل قط .

احتقن وجه المفتش فى غضب ، وهو يهتف :

ـ فليكن يا دونا ... أعدك أن أذكرك به .

ثم استدار متجهًا إلى الباب ، مضيفًا فى حدة :

ـ عندما نعثر على جثته

قالها ، وصفق الباب خلفه فى قوة ، فهتف (كارلو) :

ـ دونا ... يبدو أنهم يعلمون أن ...

قاطعته بإشارة صارمة :

ـ اصمت .

وعادت تتراجع في مقعدها، وتنفث دخان سيجارتها في عصبية، وهي تصيح:

ـ (أدهم صبري) انتهى من حياتنا إلى الأبد، ولا أريد أن أسمع اسمه مرة أخرى... هل تفهم؟! (أدهم صبري) انتهى... انتهى تمامًا.

ولم ينطق (كارلو) حرفًا واحدًا

لم يجرؤ على هذا

قط..

* * *

التقطت (منى) نفسًا عميقًا، وهي تعدل وضع منظارها الطبي الزائف على أنفها، قبل أن تهمس لـ (أشرف):

ـ تذكر أننا صحفيان في (هيرالد تريبيون)، كما تقول بطاقتا الهوية، اللتان صنعهما (قدري) ببراعته المدهشة، وهذا ما سنصرّ عليه بشدة، لو وقعنا في قبضة طاقم أمن المبنى.

غمغم في هدوء:

ـ اطمئني

تسلل كلاهما، عبر ممرات التهوية المشتركة، إلى المبنى الذي يحوي شقة (جون روتشيلد)، مستشار الأمن القومي الإسرائيلي في (روما)، حتى بلغا السلم الخلفي، فهمست (منى):

ـ هذا سيقودنا إلى السطح مباشرة، من مدخله الخلفي

سألها (أشرف)، وهما يصعدان في درجات السلم، في سرعة وخفة:

ـ هل تعتقدين أن (عماد) قد تركها هناك؟!

تعقد حاجباها، وهي تقول في صرامة:

ـ لا تذكر اسمه أبدًا.

ابتسم لحدتها المتناهية، وهو يكرر.



دلف كلاهما إلى السطح ، ووقفا بضع لحظات ، للتأكد من أن أحدًا لم يكشف أمرهما

- هل تعتقدين أن المتسلل ، قد ترك بطاقة التسجيل الرقمية هناك ، على السطح ؟!

أجابته في سرعة ، وهي تلصق أذنها بالباب الخلفي لسطح المبنى ، في حذر بالغ

- الإسرائيليون فتشوا كل سنتيمتر في السطح ، ولو أنه أخفاها في جحر للنمل لعثروا عليها .

تساءل في دهشة :

- ما الذي أتى بك لتفقده إذن ؟

أجابته ، وهي تدفع باب السطح ، بمنتهى الحذر

- أتينا لندرس الموقع على الطبيعة ، فقد يقودنا هذا إلى أفكار واحتمالات جديدة

دلف كلاهما إلـى السطح ، ووقفا بضع لحظات ، للتأكد من أن أحدًا لم يكشف أمرهما ، قبـل أن تغمغم (منى) :

- موقع جيد ، لمراقبة كل ما حوله

ضغط (أشرف) :

- إنه يطل بالفعل على أسطح عدد من المباني المحيطة ، ولا يعلوه سوى ذلك المبنى عبر الشارع .

قالت (منى) ، وهي تتجه إلى حاجز السطح

- إلى المكان الذي أتى منه إلى هنا حتمًا

وتوقفت بالقرب من الحاجز ، وهي تدير عينيها فيما حولها ، متابعة :

- ووفقًا لتصور الخبراء ، فقد اتجه عند هروبه ، إلى هنا مباشرةً ، وتوقف لبعض الوقت

قال (أشرف) في اهتمام :

- ليلتقط صور الأوراق

تلفتت حولها ، قائلة :

- وبعدها أخفى بطاقة تسجيل الصور الرقمية ، في مكان ما

وضاقت عيناها ، وهي تعتصر عقلها اعتصارًا ، متابعة في خفوت :

- مكان ما هنا

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف :

- أو حولنا

أشار (أشرف) بسبابته ، وهو يسأل :

- المهم أين ؟! أين أخفى تلك البطاقة ، التي يتقاتل من أجلها الجميع ؟! أين ؟!

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كان (جراهام) يهتف ، وهو يراقب ما يحدث ، من المبنى المقابل ، عبر منظار مقرّب

- لقد كنت على حق يا أدون (شيمون) .. إنهم هناك .

استرخى (شيمون) في مقعده ، داخل شقة الخبرة ،

في المبنى المرتفع عبر الشارع، وقال وهو يسبل جفنيه في هدوء:

- كنت أعلم أنهم سيأتون

هتف (شندلر) في حماسة:

- لقد وقعوا في قبضتك.

أما (جراهام)، فقد التقط هاتفه المحمول من جيبه، وهو يقول في صرامة:

- سأبلغ رجالنا، لكي

قاطعه (شيمون) في صرامة قاسية:

- أعد هاتفك إلى جيبك يا (جراهام).

قال (جراهام) في حدة.

- ولكنها فرصة نادرة، قد لا يمكننا تعويضها أبدًا. إنهم على سطح مبنانا، وبإشارة واحدة، يستطيع رجالنا الانقضاض عليهم، وسحقهم سحقًا.

فتح (شيمون) عينيه، وسأله في اهتمام:

- هل تعتقد هذا؟!

هتف (جراهام) في انفعال

- بالتأكيد

وتسمت ابتسامة باهتة على شفتي (شيمون)، وهو يقول

- هل تعلم يا (جراهام) قرارك هذه يمكن تدريسه، للجيل الجديد في (الموساد)؟!

هتف (جراهام):

- حقًا؟!

عدل (شيمون) بحركة حادة، وهو يقول في صرامة شرسة

- كمثال للقرارات الانفعالية الحمقاء، التي لا تستند إلى أية لمحة من الحكمة أو المنطق، أو حتى الرؤية الصحيحة للهدف الأساسي

تراجع (جراهام) كالمصعوق، قبل أن يقول في حدة:

- ولماذا كل هذا ؟!

هبّ (شيمون) من مقعده، واختطف منه المنظار المقرّب، قائلا:

- قل لي أيها العبقري.. لماذا نسعى للتخلّص من المصريين ؟!

انعقد حاجبا (شندلر)، دون أن ينطق ببنت شفة، في حين ارتبك (جراهام)، وهو يغمغم:

- أي سؤال هذا ؟!

قال (شيمون) في صرامة:

- سؤال منطقي يا (جراهام)، بعيدًا عن العداء العربي، الذي نما في أعماقك منذ حداثتك، تجاه العرب عمومًا، والمصريين خاصة.. سؤال يتعلّق بالموقف الحالي فحسب.. لماذا نسعى للتخلّص منهم ؟!

قال (جراهام) في حدة:

- إنهم يسعون خلف البطاقة، التي تحوي صور وثائقنا السرية، وأوراقنا بالغة الخطورة والحساسية.

وضع (شيمون) المنظار على عينيه، وهو يسأله:

- وماذا في هذا ؟!

تبادل (جراهام) نظرة دهشة مستنكرة، مع (شندلر)، قبل أن يقول في سخط:

- وماذا لو عثروا عليها ؟!

أجابه (شيمون) في سرعة وحزم:

- هذا لا يهم

ثم استدرك، قبل أن يمنحه الفرصة للرد أو الانفعال:

- ما داموا تحت سيطرتنا

ارتفع حاجبا (شندلر)، وتألّقت عيناه، على نحو يوحي بأنه قد استوعب المعنى، في حين قال (جراهام) في غضب:

- وماذا لو خرجوا عن سيطرتنا ؟!

أجابه (شيمون) فى صرامة :

- لنحرص على ألا يحدث هذا قط .

ثم خفض المنظار ، واستدار إلى (جراهام) ، متابعًا فى لهجة قاسية :

- ينبغى أن تتعلم القواعد الجديدة للعبة .. بدلاً من أن تهاجم عدوك ، دعه يعمل لحسابك ، ويسعى إلى ما تسعى إليه ، ولكن ضعه تحت سيطرتك الكاملة .. بهذا تكون قد أضفت أيدى عاملة إلى قواتك ، تعمل بمنتهى الكفاءة والحماسة ، وتساعدك على بلوغ الهدف ، دون أن تكلفك سوى رصاصة واحدة لكل رأس ، فى نهاية الأمر .

غمغم (جراهام) فى عصبية :

- المصريون ليسوا بهذه السهولة .. إنهم محترفون مثلنا .

انطلقت ضحكة ساخرة قصيرة ، من بين شفتى (شيمون) ، وهو يقول :

- سترى يا عزيزى (جراهام) .. سترى .

نطقها ، وعاد يرفع المنظار المقرب إلى عينيه ، ليخفى به ذلك البريق ، الذى سطع فيهما ...

البريق الشيطانى الوحشى ...

جدًا ...

* * *

لم تنبس (منى) بحرف واحد ، منذ عادت مع (أشرف) إلى مبنى المقر الآمن ، قلب (روما) ، وجلست على المقعد المواجه للنافذة ، مستغرقة فى تفكير عميق ، بدا وكأنه يلتهم كل ذرة من كيانها ...

وفى موقعها هذا ، بدت أشبه بأستاذها ، كما لم تبد من قبل ...

وفى أعماقها ، كانت نسخة طبق الأصل منه ...

إرادتها القوية سيطرت على حزنها العميق، ودفنته في جزء مظلم من عقلها، لتجند ما تبقى من خلايا مخها الرمادية، للبحث عن تفسير لذلك اللغز الذي تواجهه.

لغز اختفاء بطاقة تسجيل الصور الرقمية.

لقد فحصت كل شبر في ذلك السطح، وأصبحت واثقة، تمامًا مثلما وثق الإسرائيليون، في أن البطاقة ليست هناك.

ومن المؤكد أن (عماد) لم يخفها في أي مكان في ملابسه، وإلا لعثر عليها الإسرائيليون، وتوقفوا عن حملة بحثهم المحمومة عنها

أين هي إذن ؟؟..

أين ؟؟..

لقد دفنها (عماد) في مكان ما

مكان يمكنه العودة لالتقاطها منه، لو أفلت مما يحدث

حاولت أن ترسم في عقلها صورة وهمية لما حدث هناك، على سطح المبنى

(عماد) مطارد، ويعلم أنهم سيظفرون به على الأرجح..

ولكن الأوراق مازالت في حوزته

ولابد أن تصل إلى (القاهرة)

بأي ثمن

و

. هناك أمر مريب . . .

دفع (أشرف) أمامها فجأة، ورقة تحمل هذه العبارة، فانتزعها من أفكارها في عنف، وجعل حاجباها ينعقدان، وهي تشير إليه بيدها، متسائلة عما يعنيه، فكتب أسفل عبارته الأولى

ـ هناك شخصان يراقبان، من إحدى نوافذ المبنى

المقابل، على الرغم من أنني واثق من أن أحدًا لم يتبعنا، عندما عدنا إلى هنا

نهضت، تسأله في صمت، عن كيفية معرفته لهذا، فكتب في سرعة:

- الأمور تتطور يا سيدة المقدّم، وعندما استأجرنا هذا المنزل الآمن، زودناه بشبكة من وسائل المراقبة، الداخلية والخارجية، مع مجموعة من شاشات الرصد الدقيقة، تعمل ليله ونهاره وإحدى وسائل المراقبة لدينا، آلة تصوير بالأشعة تحت الحمراء، وهذا ما سجلته.

ضغط أزرار الكمبيوتر في سرعة، فظهرت على شاشته صورة خضراء اللون، لرجل يقف في نافذة المنزل المقابل عبر الشارع، مستترًا بظلام حجرته، وعلى عينيه منظار مراقبة كبير

كتبت (منى) في اهتمام.

- هل يمكنه كشف ما علمناه الآن ؟!

التقط (أشرف) نفسًا عميقًا، وكتب

- فقط لو أنهم يمتلكون واحدًا من ميكروفونات الليزر الحديثة (*).

انعقد حاجباها في شدة، فتنحنح مضيفًا على الورق

- هذا النوع من الميكروفونات يستخدم شعاعًا من الليزر، لـ...

قاطعته في حزم، وهي تكتب في سرعة،

- لا داعي للشرح .. إنني أعرفه جيدًا.

وصمتت لحظة، ثم أضافت على الورق:

- إنني لست متخلفة الطراز إلى هذا الحد.

كتب في حرج، في آخر سطر من الورقة:

- لم أكن أقصد هذا.

(*) ميكروفون الليزر: هو نوع حديث من أجهزة التنصت الدقيقة يعتمد على إطلاق شعاع رفيع من الليزر، ثم إعادة استقباله، بعد أن ينعكس على المصدر المراد التنصت عليه، حاملًا ذبذبات، تكشف عن كل ما يدور داخل المصدر من أحاديث

رمقته بنظرة صارمة، قبل أن تلتقط ورقة أخرى من جوارها، ثم تزيح كل ما على سطح المنضدة الزجاجية، لتضع الورقة فوقها، وتكتب بسرعة:

- سنفترض وجود هذه الميكروفونات، وسنتوقف عن تبادل الأحاديث، وسنتحدث عبر الورق فقط.

التقط القلم، وكتب في سرعة.

- ماذا تقترحين ؟!

كتبت:

- المعتاد.

تلاقت نظراتهما، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة، وقلمه يكتب

- بالتأكيد

في نفس اللحظة، التي أنهى فيها كتابة كلمته، كان (شدلر) يخفض منظار المراقبة عن

عينيه، ويدير بصره إلى شاشة ميكروفون الليزر، قائلاً:

- يبدو لي أننا نرتكب خطأ كبيرًا بالخوف (جراهام).

زمجر (جراهام)، قائلاً في صرامة.

- اهتم بعملك فحسب يا (شدلر)، ودع التفكير واتخاذ القرارات لي.

زفر (شدلر) في توتر، وتابع لحظات تلك الذبذبات، التي يرسمها ميكروفون الليزر على شاشته، والتي يحولها جهاز الكمبيوتر المتصل به، إلى أصوات واضحة، وعبارات يتبادلها (أشرف) مع (منى)، ثم عاد يرفع منظار المراقبة إلى عينيه، قائلاً في توتر:

- أوامر ألون (شيمون) كانت صارمة حازمة في هذا الأمر.. لقد منعنا من اتخاذ أي قرار منفرد، بشأن هؤلاء المصريين.

قال (جراهام) فى حدة :

- (شيمون) هذا مختل العقل .. لقد تعلمنا منذ نعومة أظفارنا، أن المصريين أعداء لنا، حتى مبادرة السلام، التى وقعها قادتنا وقادتهم، لن تحولهم فى غمضة عين إلى أصدقاء.

غمغم (شتندلر) فى تردد:

- أدرى (شيمون) لا يعتبرهم أصدقاء، ولكن وجهة نظره أن ..

قاطعه (جراهام) فى شراسة:

- لقد أوضح وجهة نظره جيدًا

ثم التقى حاجباه فى وحشية، وهو يضيف:

- وليذهب مع وجهة نظره السخيفة هذه، إلى أعمق أعماق الجحيم.

حاول (شتندلر) أن يقول شيئًا ما، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه، وهو يواصل مراقبة المنزل الآمن،

الذى تقيم فيه (منى) مع (أشرف)، قبل أن يسأله (جراهام) فى صرامة:

- ماذا يفعلون ؟!

هز (شتندلر) كتفيه، قائلاً:

- لا يمكننى رؤيتهم؛ فالستائر مسدلة على كل النوافذ، ولكنهم يتبادلون بعض الأحاديث التقليدية، كما أسمع جيدًا.

مط (جراهام) شفتيه، قائلاً:

- أحاديثهم سخيفة، لا تتفق مع طبيعة مهمتهم

غمغم (شتندلر)، وهو يفكر فى عمق:

- وخاصة فى ظروف كهذه.

لوح (جراهام) بيده، قائلاً فى سخط:

- هؤلاء هم المصريون، الذين يتوقع منهم (شيمون)، أن يتوصلوا إلى ما لم نتوصل نحن إليه

أحاديث سخيفة ومكرّرة ، عن أحدث أفلام السينما ،
وخطوط الموضة ، و ..

قاطعه (شندلر) وهو يفكّر بنفس العمق ، دون أن
ينتبه إلى ما في هذا من تجاوز ، للقواعد ونظم العمل :

ـ من الناحية المنطقية ، لا يمكن أن يتبادل رجال
مخابرات ، في مهمة رسمية ، أحاديث كهذه ، إلا

وخلص منظار المراقبة عن عينيه ، وهو يهتف
في ذعر :

ـ إلا إذا ..

وقبل أن يكمل هتافه ، تحطّم باب المكان في عنف

واقتحمه (أشرف) و (منى)
كالعاصفة ..

* * *

تألقت عينا (شيمون) على نحو عجيب ، وهو

يجلس في استرخاء ، أمام شاشة المراقبة ، في المبنى
المجاور للمنزل الآمن ، الذي يقيم فيه (أشرف)
و (منى) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ،
جعلت (دوبهام) يقول ، في شيء من العصبية :

ـ عجبًا ! ... هل يروق لك ما تراه ؟!

غمغم (شيمون) ، في هدوء مستفز :

ـ بالتأكيد .

ارتفع حاجبا (دوبهام) ، في دهشة مستنكرة ، قبل
أن ينعقدا في توتر ، وهو يتابع المشهد ، الذي تنقله
الشاشة الكبيرة ..

كان مشهد (منى) و (أشرف) ، وهما ينقضّان
على (جراهام) و (شندلر) ، ومع المفاجأة الطيبة ،
تراجع (شندلر) ، وحاول سحب مسدسه ، وهو يهتف
في ذعر :

ـ كان ينبغي أن ..

فتلقته لكمة ساحقة ، هوى بها (أشرف) على فكه ، قبل أن يقبض بأصابعه الفولاذية على معصمه ، ويلويه في عنف ، ليجبره على إفلات مسدسه ، في نفس اللحظة التي وثبت فيها (منى) ، وركلت (جراهام) في فكه مباشرة ..

وبحركة بائسة ، حاول (شندلر) التقاط أي شيء ، للهجوم به على (أشرف) ، ولكن (أشرف) لكمه في معدته ، وهو يقول في سخرية :

- لحظة اختبار يا هذا .

وعندما انثنى (شندلر) ، من عنف اللكمة ، استقبلت ركبة (أشرف) أنفه ، لتحطمه في عنف ، قبل أن تنضم قبضتاه ، لتهويا على مؤخرة عنقه كالقنبلة .. أما (جراهام) ، فقد صرخ في غضب ، وهو ينقض على (منى) :

- أيتها الـ ..

ووثبت (منى) جانبًا ، وهي تخرسه بركلة في أنفه ، قائلة :

- هل جرؤت ؟!

تراجع مع الركلة ، فوثبت مرة أخرى ، ودارت حول نفسها ، وهي تركله ركلة ثانية في أنفه ، مكملة :

- ألم تسمع زميلي ؟!

تحطم أنف (جراهام) ، وتفجرت منه الدماء في عنف ، لتغمر وجهه كله ، و (منى) تهتف في صرامة :

- إنه اختبار قوة .

سقط (جراهام) على ركبتيه ، وهو يقول في غضب هادر ، امتزج برنة ألم قوية :

- القوة لنا .. لن تهزمونا أبدًا أيها المصريون

استدار إليه (أشرف) ، قائلًا في سخرية

- عجبًا ! يبدو أن ذاكرتك ضعيفة للغاية أيها

الوغد .. لقد نسيت أو تناسيت ، الدرس الذى لقناكم إياه ، فى أكتوبر ١٩٧٣ م .

وعلى الرغم من غضبه وآلامه ، أطلق (جراهام) ضحكة ساخرة ، تناثرت معها الدماء من بين شفتيه ، وهو يقول :

- كان هذا أيامها أيها المصرى .. كنا نجهل عندئذ كم تطورتم ، وكم بلغت قوتكم .. أما الآن فنحن نعرف من أنتم ، ومقدار ما يمكنكم فعله ، و..

تألقت عيناه بقسوة ، وهو يضيف :

- وما يمكننا فعله .

انتبه (أشرف) و (منى) إلى نظرته المتألهة ، والتفتا فى آن واحد إلى حيث تتجه ، ليرتطم بصرهما بفوهة مسدس آلى قوى ؟! .

مسدس يصوبه إليهما (شندلر) ، الذى انطلقت من حلقه زمجرة مخيفة ، وعيناه تحملان كل شر وغضب الدنيا ..

وفى لحظة واحدة ، ومع التأهب تقريبًا ، ضغط (شندلر) زناد المسدس ..

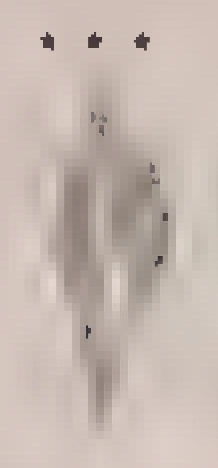
ودوت رصاصة ..

وامتزجت بصرخة رهيبة ..

صرخة كائن حى ، يواجه هادم اللذات ، ومفرق الجماعات ..

الموت .

* * *



٣- نظرية الاحتمالات..

ساد الصمت التام، داخل قاعة العرض السينمائي الخاصة، في مبنى المخابرات العامة المصرية، والشاشة تعرض فيلمًا خاصًا، التقطه أحد الزملاء في (روما)، لذلك المبنى، الذي تسلل إليه (عماد رامز)..

كان الفيلم يستعرض المبنى من الداخل، وسلالمه الأمامية والخلفية، ثم يتجول طويلاً على سطحه، بمنتهى البطء والدقة، ثم يدور موضحًا المباني التي تحيط به من كل الاتجاهات..

ومع انتهاء العرض، أضيئت أنوار القاعة، واعتدل مدير المخابرات في مقعده، وهو يقول في اهتمام:

- بطاقة التسجيل الرقمية تختفي هنا، في مكان ما، ولكن أحدًا لا يستطيع العثور عليها، مما يمثل لغزًا كبيرًا، أمام كل الأطراف، على نحو مميز.

تنهد مساعد المدير، وهو يقول:

- الظروف لم تمنح (عماد) فرصة اللجوء إلى أية خطط بديلة، من المتفق عليها، في حالات الطوارئ، ومن الواضح أنه قد تعامل مع الموقف من وحي الساعة.

قال المدير في حزم:

- علينا إذن أن نضع أنفسنا في موضعه؛ لنرى كل ما يمكن أن يفكّر فيه.

قال مساعد آخر:

- هذا يحتاج إلى خبير أمني، وخبير نفسي أيضًا.

أشار المدير بسبابته، قائلاً:

- بالضبط … على أن يتم هذا، بأقصى سرعة ممكنة، قبل أن يتوصّل الإسرائيليون إلى البطاقة، وتخسر العملية كلها.

تساءل المساعد في اهتمام قلق:

- هل تعتقد أنهم سينجحون في انتزاع المعلومة من (عماد) ياسيدي ؟!..

تعقد حاجبا المدير، وهو يجيب في تحفظ:

- من يدري ؟! الإسرائيليون لديهم وسائلهم الوحشية، ورجلنا مصاب، ولن يمكنه احتمال ما سيفعلونه به طويلاً.

قال المساعد الثاني في حزم:

- (عماد) قد يموت، ولكنه لن يمنحهم مايريدونه قط.

أسرع المساعد الأول يضيف.

- هذا لو عاد إلى الحياة... أعني لو استعاد وعيه أولاً.

هزّ المدير رأسه، دون أن يعلّق، فتساءل المساعد الثالث في حذر:

- هذه العملية تحتاج إلى تدخّل محترف، على درجة عالية من الخبرة والكفاءة والقوة.

قال المدير في صرامة:

- كل أفرادنا محترفون.

تنحنح المساعد الأول، قائلاً.

- زميلي كان يقصد رجلاً بعينه ياسيدي.

ازداد انعقاد حاجبي المدير، وهو يقول:

- أعلم هذا... أعلم أنه يقصد (ن - ١).

وصمت لحظة، ثم كرّر:

- أعلم هذا.

وفي هذه المرة، خرجت كلماته حاملة قدرًا مدهشًا من الغموض..

قدر هائل..

وبلا حدود

* * *

« أين أنا ؟! .. » ..

غمغم (عماد) بالعبارة في ضعف، وهو يستعيد وعيه، داخل حجرة العناية المركزة الخاصة، في قبو السفارة الإسرائيلية في (روما)، وشعر بآلام تنتشر في جسده كله، وهو يفتح عينيه في صعوبة، متمتمًا:

- ماذا حدث ؟! ..

كان المكان خاليًا تمامًا، إلا من ممرضة شابة، مستغرقة في النوم، على مقعد بعيد، وبدا وكأنها لم تشعر باستعادته لوعيه قط

ولثوان، بلغت نصف الدقيقة تقريبًا، ظل عقله مشتتًا مرهقًا، ثم لم يلبث أن استوعب ما حوله تدريجيًا ..

وأدرك طبيعة المكان ..

وهويته ..

ففي أماكن مختلفة من الحجرة، كانت هناك بعض

اللافتات واللوحات الإرشادية الصغيرة، التي تحمل بعض التعليمات الطبية ..

وكانت كلها بلغتين، لا ثالث لهما ..

الإنجليزية ..

والعبرية ..

وقفز سؤال كبير إلى رأسه، مع وقوع بصره على اللوحات العبرية ..

ترى ماذا حدث ؟! ..

آخر ما يذكره هو هبوطه بالمظلة، من سطح مبنى (روتشيلد).

وظهور الهليكوبتر ..

والرصاصات ..

ثم انتهى كل شيء ..

وفقًا للترتيب المنطقي، وحتى للمنطق الأمثل

الطبيعى، فالمفترض أن يكون الآن فى قبضة الإسرائيليين ..

ولكن اللوحات فى المكان توحى بالعكس تماماً ..

لقد عاد إلى (مصر) ..

لقد أنقذوه، وأعادوه إلى الوطن

صحيح أنه يشعر بآلام لاحصر لها، فى صدره وظهره وعنقه، إلا أنه هنا ..

فى (مصر) ..

« رباه !.. لقد استعدت وعيك . »

هتفت الممرضة بالعبارة، بلغة عربية، ولهجة مصرية خالصة، وهى تهب من مقعدها، وتندفع نحوه، بتلك الكمامة الطبية الواقية، التى تخفى معظم وجهها، مكملة:

ـ حمداً لله على سلامتك .. حمداً لله .

ازدرد (صقر) لعابه فى صعوبة، وهو يقول

ـ أين أنا ؟!

نطقها بلهجته المصرية، فى تهالك مرهق، وهو يبذل جهداً خرافياً؛ للتشبث بوعيه، فأجابته فى هدوء، وعيناها الواسعتان السوداوان تحملان ضحكة كبيرة:

ـ أنت هنا فى حجرة العناية المركزة، فى مستشفى القوات المسلحة فى (المعادى) .

غمغم فى لهفة:

ـ (المعادى) ؟! إذن نحن فى (مصر) !

أجابته فى هدوء:

ـ بالتأكيد .

أسبل جفنيه، مغمغماً فى ارتياح:

ـ حمداً لله .. حمداً لله .

تطلقها ودارت الدنيا كلها في رأسه ، وانعقدت سحابة سوداء قاتمة على عقله ، وبدا له صوت الممرضة ، وكأنه يأتي من أعماق سحيقة ، وهي تقول :

- الرؤساء ينتظرون عودتك إلى وعيك هذه بفارغ الصبر ! و ..

ولم يسمع بقية العبارة أبدًا .

فدون سابق إنذار ، عاد إلى غيبوبته العميقة ..

دفعة واحدة ..

ولدقيقة أو يزيد ، ظلت الممرضة تفحصه في دقة وحذر ، حتى تأكدت من أنه قد عاد حقًا إلى غيبوبته ، قبل أن تزيح الكمامة عن وجهها ، وتكشف إصابتين في جانبيه ، وهي تلتقط هاتفها المحمول ، وتضغط أزراره ، قائلة :

- دون (شيمون) .. إن (راشيل) خطتك العبقرية نجحت على نحو مدهش ، في مرحلتها الأولى

ثم رمقت (عماد) بنظرة مقت ، قبل أن تضيف في حزم :

- إنه مصري .

وهذه الكلمة أيضًا ، لم يسمعها (عماد)

لم يسمعها أبدًا ..

* * *

كان رد الفعل مختلفًا ، كما قال (أشرف) .

مختلفًا في القوة ، والسرعة ، ورد الفعل أيضًا

ففي نفس اللحظة التي ضغط فيها (شنايدر) زناد مسدسه ، أو قبلها بنصف الثانية تقريبًا ، وعلى الرغم من عامل المفاجأة ، تحرك (أشرف) بسرعة مدهشة ، فوثب جانبًا ، ودار حول نفسه بمهارة ورشاقة ومرونة ، ليركل الإسرائيلي في صدره بكل قوته

وانطلقت رصاصة (شنايدر) ، لتمرق على مسافة



ثم لكمت (جراهام) لكمة ساحقة في أسنانه مباشرة، مضيفة:
- ثم يتحولون إلى نعاج مذعورة

ستنبعث واحد من رأس (منى)، في نفس اللحظة التي يرتطم فيها جسده بالنافذة، مع قوة ركلة (أشرف)، وحطم زجاجها، ثم هوى، وهو يطلق صرخة رهيبة..

صرخة انتهت، بعد ارتطام جسده بالشارع في عنف

وعلى نحو ينافس الموتى، شحب وجه (جراهام)، وهو يهتف:

- لا.. لا.. الرحمة.

هزت (مسى) رأسها، قائلة:

- عجبًا لهؤلاء القوم.. يتصرفون كالأسود، إذا ماتصوروا أنهم أقوى ممن حولهم..

ثم لكمت (جراهام) لكمة ساحقة، في أسنانه مباشرة، مضيفة:

- ثم يتحولون إلى نعاج مذعورة، عندما يدركون الحقيقة

ارتجّ جسد (جراهام) فى عنف، ووثبت واحدة من أسنانه الأمامية عبر شفتيه، قبل أن يسقط على وجهه كالحجر، عند قدمى (منى) تمامًا.

وفى منزل المراقبة الإسرائيلى، هتف (دونهام) مستنكرًا، وهو يراقب ما حدث على الشاشة:

ـ رأيت يا ألون (شيمون)؟!..

هزّ (شيمون) رأسه، قائلاً:

ـ أمر مؤسف بالفعل.

التفت إليه (دونهام)، هاتفًا فى دهشة:

ـ لماذا تركته يحدث إذن؟!

رمقه (شيمون) بنظرة ساخرة، وهو يكمل، وكأنه لم يسمعه.

ـ أمر مؤسف ألا يسقط (جراهام) الغبى، بدلاً من (شندلر) المسكين

اتسعت عينا (دونهام) فى دهشة، وهو يقول فى عصبية:

ـ هل ستترك المصريين يفلتون بفعلتهم هذه؟!

نهض (شيمون) من مقعده، قائلاً فى صرامة:

ـ لا تتصرف بنفس الغباء والحماقة، اللذين تصرف بهما ذلك الحقير (جراهام)، حتى لا يصبح مصيرك كمصيره

ارتبك (دونهام)، وهو يتمتم:

ـ ألون (شيمون) ... إننى

تجاهله (شيمون) تمامًا، وهو يتابع بنفس الصرامة.

ـ كنت واثقًا من أن عقله المحدود لن يستوعب أوامرى، وأنه سيسعى لمراقبة المصريين، بالأسلوب التقليدى الوحيد، الذى يجيده فى عمله

تساءل (دونهام) فى حيرة:

- لماذا تركته يلتقطها إذن، على الرغم من أن هذا يفسد ماتسعى إليه عمليًا

التقط (شيمون) نفسًا عميقًا، وراقب شاشة الرصد بضع لحظات في صمت، متابعًا خروج (مسى) و (أشرف) من المكان في سرعة، قبل أن يقول:

- في المعتاد، لا أميل لشرح أسلوب عملي للآخرين، باعتبار أنه من العسير عليهم استيعابه، ولكن حيرتك الواضحة، ولهفتك المخلصة للمعرفة، أقنعتني بضرورة خلق جيل جديد، يؤمن بأسلوبي الفريد.

واعتدل، مكملاً في حزم:

- لقد تركت (جراهام) يخالف أوامري لهدفين رئيسيين: أولهما إيهام المصريين بأن اللعبة تدور بالأسلوب التقليدي المحض، بحيث تتناسب ردود أفعالهما معه، دون أن يتصاعد تفكيرهم، أو يسمو للأسلوب المبتكر، الذي أدير به اللعبة هذه المرة.

سأله (دونهام) في لهفة:

- وماذا عن الثاني؟!

لوّح (شيمون) بيده، قائلاً:

- أتوقع أن المصريين طوّروا الهدف الثاني، من حيث لم أتوقّع أبدًا، فكل ما كنت أطمح إليه هو أن يبادر الرجل والمرأة بالفرار من منزلهما الآمن، الذي توصلنا إليه بعبقرية، إلى المنزل الاحتياطي، الذي يصعب علينا في المعتاد التوصل إليه، دون أن يدركوا أننا نلتصق بهم، التصاقًا يصعب الفكاك منه، ولكن الاثنين طوّرا الأمر إلى هجوم مباشر، لا يعدّ تكتيكيًا أبدًا في علمنا، واشتبك مع ذلك الأحمق (جراهام) ومساعده، ليلقى الأخير مصرعه، وينال الأول ما يستحقه

وتراقصت ابتسامة متشفية، على ركن شفتيه، وهو يضيف

- وسيستحق هذا كل الحق، في استبعاده من العملية تمامًا، وإعادته إلى (تل أبيب)

تألقت عينا (دونهام)، وهو يقول:

- هذا سيسعدني بالتأكيد.

ثم عاد يسأل في قلق:

- ولكن المصريين سيغادرون مكمنهما الآن حتمًا

ابتسم (شيمون) في ثقة، مجيبًا:

- بالضبط

تردد (دونهام) بضع لحظات، قبل أن يسأله في حذر:

- أأنت واثق من أنهما لن يفلتا منا؟!

أجابه (شيمون) في حزم:

- نعم للثقة

ثم هم بشرح ما يعنيه، عندما انطلق رنين هاتفه المحمول فجأة، فالتقطه في سرعة، وألقى نظرة على شاشته، قبل أن يضعه على أذنه، قائلاً في اهتمام شديد:

- إنها (راشيل)

استمع إليها في اهتمام، وتألقت عيناه في ظفر، وهو يهتف:

- كنت واثقًا من هذا.. كنت واثقًا من أنه مصري.

ثم تصاعد انفعاله، وهو يتابع في صرامة:

- استدع الطاقم الطبي الخاص، الذي أحضرناه من (تل أبيب).. لا أريد كلمة واحدة عبرية، وإلا فأقسم أن أنسف رأس من ينطقها.. أريده أن يقتنع، دون أدنى ذرة من الشك، عندما يستعيد وعيه مرة أخرى، أنه في (مصر).. هل تفهمين؟!

أنهى المحادثة، والتفت إلى (دونهام)، الذي هتف في حماسة:

- هل نجحت الخطة؟! هل تصور أنه في (مصر) بالفعل؟!

أجابه (شيمون) في حزم:

- نعم .. ولكنه فقد وعيه مرة ثانية ، كما قال الأطباء ، وهذا يعني أنه قد يعود إلى الوعي ، على نحو أكثر تركيزًا ، خلال ساعتين على الأكثر ، مما يحتم عودتي إلى السفارة مباشرة ؛ لإدارة العملية كلها من هناك ، أما أنت ، فستتولى أمر المصريين ، على أن تبلغني بكل تطورات الموقف أولاً بأول ..

أشار (دونهلم) بإبهامه ، قائلاً :

- وماذا عن (جراهام) ؟!

ألقى (شيمون) نظرة على شاشة الرصد ، قبل أن يجيب :

- سقوط (شندلر) ، سيجعل المكان يكتظ برجال الشرطة الإيطالية بعد قليل ، وعندما يعثرون عليه ، سيخضعونه لاستجواب فني ، مما سيزيد من تورطه في الخطأ .

وصمت لحظة ، وهو يرتدي معطفه ، قبل أن يضيف بابتسامة شامتة :

- وهذا أفضل ما نسعى إليه .

اتسعت ابتسامة (دونهلم) ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا سيد (شيمون) .. بالتأكيد

لم يجب (شيمون) العبارة ، وإنما اندفع يغادر المكان ، تاركًا (دونهلم) خلفه ، وهو يخرج جهازًا صغيرًا من جيبه ؛ ليتابع به مهمته الرئيسية ..

مهمة إحكام السيطرة على المصريين

إلى أقصى حد ..

* * *

« توقف هنا .. »

هتفت (منى) بالعبارة فجأة ، وهي تجلس داخل السيارة ، التي يقودها (أشرف) ، عبر شوارع (روما) ، في طريقها إلى المنزل الآمن الاحتياطي ، فضغط رجل المخابرات فرامل السيارة بحركة آلية ، وتوقف بها إلى جوار الطريق ، متسائلاً :

- ماذا هناك ؟!

تراجعت في مقعدها، محاولة تركيز أفكارها، وهي تسأله :

- هذه نفس السيارة، التي ذهبنا بها إلى مبنى (روتشيلد). أليس كذلك ؟!

أجابها، وهو يعتدل ليواجهها في اهتمام:

- بلى.

أشارت بسبابتها، قائلة :

- هذا هو التفسير الوحيد إذن.

لاح تساؤل مخلص من عينيه، فتابعت في اهتمام وتركيز.

- أنت تؤكد أن أحدا لم يتبعنا، في أثناء ذهابنا إلى ذلك المبنى، أو العودة منه، ولأنك محترف، فليس هناك أدنى شك في صحة هذا. فكيف حددوا منزلنا الآمن إذن؟

غمغم :

- ربما كشفوا أمره مسبقًا.

هزت رأسها، قائلة :

- هذا غير وارد؛ لأن المراقبة لم تبدأ، إلا بعد عودتنا من مبنى (روتشيلد)، وإلا لكشفنا أمرها قبل هذا.

سألها في اهتمام:

- ما الذي يدور في ذهنك بالضبط ؟!

لوحت بيديها، قائلة :

- دعنا نتخيل الأحداث، وفقًا لما لدينا من معلومات.. الإسرائيليون يعلمون أننا سنسعى لدراسة المنطقة، التي وقع فيها حادث (صاد)، بأية وسيلة ممكنة، ولو أنهم بالذكاء الكافي، فسيحيطون المكان بمراقبة دقيقة ومكثفة، ومن المحتم أنهم قد رصدوا قدومنا، في هذه السيارة.

قال في توتر :

- ولكننا قضينا بعض الوقت على سطح المبنى، ولم يتصد لنا أي واحد منهم !

قلت في سرعة :

- هذا بالضبط ما أثار شكوكي .. إنهم محترفون ، ويعلمون أننا سنسعى إلى المكان حتمًا ، وعلى الرغم من هذا فقد وصلنا إليه بمنتهى اليسر ، دون أن نحتاج حتى إلى استخدام بطاقات جريدة (هيرالد تريبيون) المزورة ، ولم يعترضنا رجل أمن واحد ، فكيف يمكن أن يصبح هذا منطقيًا ، إلا إذا كانوا يفسحون لنا الطريق عمدًا

انعقد حاجباه ، وهو يقول :

- أتعنين أنهم يحاولون تجنيد جهودنا لحسابهم ؟!

أجبته في حسم :

- بالضبط .. يتركوننا نبذل قصارى جهدنا ، للتوصل إلى تلك البطاقة ، ثم ينقضون علينا في اللحظة الأخيرة ، لانتزاعها منا ، والفوز بها

غمغم :

- يا للأوغاد !!

ثم استطرد في سرعة :

- ولكنه التفسير المنطقي الوحيد بالفعل ، وهو يعني أنهم قد حددوا سيارتنا ، عندما رصدوا وصولنا إلى مبنى (روكفيلد) ، و ...

تألقت عيناه ، وهو ينظر إلى عيني مباشرة ، فهتفت :

- السيارة !

ودون كلمة إضافية واحدة ، غادر كلانا السيارة ، وانطلقنا مبتعدين عنها ، سيرًا على الأقدام ، لمائتى متر كاملة ، قبل أن يقول (أشرف) في حزم :

- دعينا نتيقن أولاً من أن أحدًا لا يتبعنا ، قبل أن نتجه إلى المنزل الآمن الاحتياطي .

هزت رأسها ، قائلة :

- لن تجد من يتبعنا .. لن يجازفوا بهذا ، حتى لا ينكشف أمرهم مرة ثانية .

وصمتت لحظة، قبل أن تضيف في حزم صارم

ـ لقد أداروا اللعبة باحتراف حقيقي، وعلينا أن نثبت لهم أنه، في لعبة المحترفين، لن ينتصر سوانا

لحظتها، وكل ذرة من عقلها وكيانها تهتف باسم واحد..

الاسم الذي احتل وجودها كله، والذي تنشد باسمه كل نبضة في قلبها..

اسم (أدهم)..

(أدهم صبري)..

وبدون جلبة، انهمرت الدموع في أعماقها غزيرة..

غزيرة إلى أقصى حد..

دموع لم تحجب عنها الاسم الأكبر، الذي لا تتردد لحظة في بذل حياتها من أجله

اسم (مصر)..

* * *

استبدل (شيمون) ثيابه في سرعة، داخل حجرته الخاصة، في السفارة الإسرائيلية، وهو يسأل (راشيل) في اهتمام:

ـ إذن فقد أقنعه ما صنعناه أنه في (مصر).

أجابته، وهي تفحص جرح وجهها في بغض:

ـ تمام الإقناع.

سألها في اهتمام، وهو يرتدي حلة أنيقة:

ـ متى يتوقعون استعادته لوعيه؟!

مطّت شفتيها، مجيبة:

ـ خلال ساعتين على الأكثر.

قال في حزم:

ـ لابد أن يكون كل شيء معدًا عندئذ.

خفضت :

- اطمئن

رمقها بنظرة صارمة ، وهو يسألها :

- ماذا بك ؟! .. تبدين كما لو أن كل ما يحدث هنا لايروق لك

أجابته في سرعة :

- خطتك عبقرية يا أفون (شيمون)

ثم مطت شفتيها ، مستطردة :

- ولكنها غير مبتكرة .

لم ترق له عبارتها ، فقال في صرامة :

- ربما استخدمت اللعبة نفسها ، من قبل النازيين ، خلال الحرب العالمية الثانية ، لخداع عميل بريطاني ، وانتزاع معلومات بالغة السرية والخطورة منه ، بإقناعه أن الحرب قد انتهت ، وأنه لم تعد هناك أهمية

لتلك المعلومات(*) ، ولكن الاستفادة من دروس التاريخ ليست خطأ ، بل هي عامل من عوامل القوة

قالت في ضيق واضح :

- عالمنا يعتمد على الابتكار

أجابها في صرامة :

- كثيرا ما يكون استعادة التقليديات نوعا من الابتكار ، في عالم أصبح يتوقع الجديد دوما .

عادت تمط شفتيها ، متمتمة :

- ربما .

رمقها بنظرة صارمة أخرى ، قبل أن يسألها في حدة .

- ماذا هناك بالضبط ؟! الخدعة التي نعدها لذلك المصري ، ليست السبب الحقيقي لضيقك هذا .

(*) حكاية حقيقية .

تتقاطر المقت من شفتيها ، وهي تقول :

ـ تلك المصرية .

انعقد حاجباه ، فتابعت في حدة ثائرة ، وهي تشير إلى جرحي وجهها :

ـ لقد شوهت وجهي تمامًا ، ولابد أن تدفع الثمن .

قال في غضب :

ـ بدأت تتصرفين مثل ذلك الأحمق (جراهام)

أشاحت بوجهها في حنق ، فتابع في صرامة :

ـ لكل شيء وقته .

لوحت بيدها ، هاتفة :

ـ مادامت الخدعة قد أفلحت ، مع رجل المخابرات المصري في القبو ، فلا يوجد مبرر واحد ، للإبقاء على حياة تلك المصرية .

قال في صرامة :

ـ الخطة لم تحقق هدفها بعد ، والخدعة لن تكتمل ، حتى نحصل على ما نريد ، من ذلك المصري في القبو ، ونستعيد بطاقة التسجيل الرقمية بالفعل

سألته في سرعة :

ـ وعندئذ ؟!

أجابها بنفس السرعة ، دون أن يتخلى عن صرامته :

ـ وعندئذ ، ستكون المصرية من نصيبك .

تهللت أساريرها ، على الرغم من المقت المطل من عينيها وصوتها ، وهي تقول :

ـ يكفيني هذا الوعد ، يا أدون (شيمون) .

قالتها ، وأسرعت تغادر المكان في ارتياح وحشي ، فمط هو شفتيه هذه المرة ، وهو يقول في مقت :

ـ غبية .

ثم عقد رباط عنقه ، مستطردًا :

- أمور عديدة تحتاج إلى إعادة تأهيل هنا .

مع آخر حروف كلماته ، ارتفع رنين هاتفه المحمول ، بنغمة خاصة ، جعلته يلتقطه في لهفة ، مغمغمًا :

- ماذا تريد (تل أبيب) الآن ؟!

ضغط زر الاتصال ، وهو يسأل .

- (شيمون) .. هل من جديد ؟!

سمع صوت رئيسه في (تل أبيب) ، يهتف به في انفعال :

- اسمعني جيدًا يا (شيمون) .. مصادرنا أرسلت الآن معلومة ، غاية في الأهمية والخطورة ، رأيت أن أبلغك بها فورًا ، ودون إضاعة لحظة واحدة .

انعقد حاجبا (شيمون) ، وهو يسأله في توتر :

- أية معلومة تلك ؟!

وألقى إليه رئيسه المعلومة .

وانعقد حاجباه (شيمون) بمنتهى الشدة والتوتر ..

فالمعلومة كانت بالفعل مهمة ..

مهمة وخطيرة ..

إلى أقصى حد ممكن ..

* * *



٤ـ الغموض..

مط مفتش الشرطة الإيطالية (باولو) شفتيه، وهو يدير عينيه فيما حوله، داخل شقة المراقبة الإسرائيلية، التي اشتبكت فيها (ملى) وزميلها، مع (جراهام) ومساعده، قبل أن يقول:

ـ من الواضح أن المكان كان يُستخدم لمراقبة نقطة ما، من نوافذ المبنى المقابل.

قال مساعده (ماتيكي)، وهو يشير إلى الأجهزة المنتشرة في المكان:

ـ ليست مراقبة عادية، فهذه الأشياء تساوي ثروة.

غمغم (باولو):

ـ هذا صحيح.

فحص الأجهزة بدوره، قبل أن يلتفت إلى أحد رجال الشرطة، متسائلاً:

ـ هل استجوبتم الجيران، وطاقم أمن المبنى؟!

أجابه الرجل في احترام:

ـ الجيران سمعوا المشاجرة، وصوت طلق ناري، ولكن أحدهم لم يحاول حتى الخروج من منزله، خشية التعرض للأذى، أما طاقم الأمن، فلديهم الكثير بالداخل

سأله في اهتمام:

ـ مثل ماذا؟!

أجاب الرجل في سرعة:

ـ لقد هوجم حارس المبنى الرئيسي، من قبل مجهولين، لم يرصدهم أحد من باقي الطاقم، ولا يمكن تحديد عددهم بدقة، ولكن من الواضح أنهم المسئولون عن هذا الهجوم.

تساءل (ماتيكي):

ـ أهذا كل شيء؟!

تردد الرجل لحظة ، قبل أن يقول :

- هناك أمر آخر ، ولكن ..

سأله (باولو) في خشونة ، عندما لم يستطع الاستطراد :

- ولكن ماذا ؟!

هز الرجل رأسه ، قائلاً :

- أحد أفراد الطاقم ، قال : إنه ، في أثناء إسراعه إلى هنا ، بعد دوي الطلق الناري ، التقى بكهل أشيب الشعر ، يحمل مصابًا على كتفه ، ويهرول به إلى المصعد ، وعندما التقى بالحارس ، هتف به أنه هناك مصابون آخرون ، يحتاجون إلى إسعاف عاجل

تبادل (باولو) نظرة متوترة مع (ماتيوتي) ، قبل أن يقول الأخير ، في صرامة قاسية خشنة :

- كهل يحمل رجلاً بالغًا على كتفه ، ويهرول به إلى المصعد ؟! ألا يبدو لك هذا أمرًا غير منطقي يا رجل ؟!

وافقه رجل الشرطة بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- إنه أمر غير منطقي بالفعل ، ولكن الحارس لم ينتبه إلى عدم منطقيته ، إلا بعد فوات الأوان ، وعندما عاد للبحث عن ذلك الكهل الزائف ، لم يعثر له على أثر :

تبادل (باولو) و (ماتيوتي) نظرة أخرى ، ثم قال الأول :

- وماذا عن ذلك المكان ، في المبنى المقابل ؟! هل تم استجواب قاطنيه ؟!

هز رجل الشرطة رأسه قائلاً :

- لم نعثر على أي مخلوق هناك .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في توتر :

- ولكننا وجدنا عدة أجهزة كهذه .

لمعت الدهشة من عيني الرجلين ، قبل أن يغمغم (ماتيوتي) :

- إنه عمل من أعمال (المافيا)

انعقد حاجبا (بولو)، وهو يقول في صرامة:

- بل يتجاوز هذا بكثير.

ثم أشار بيده، مستطردًا في توتر:

- الرجل الذي سقط من هنا، يحمل جواز سفر إسرائيليًا.. جواز سفر دبلوماسيًا.. هل يمكنك أن تفهم ما يعنيه هذا؟!

امتقع وجه (ماتيولي)، وهو يقول:

- رباه!.. هل تعتقد أن..

قاطعه (بولو) في حزم:

- نعم.. أعتقد هذا.

وصمت لحظة، ثم تابع في حدة، وهو يلوّح بذراعه كلها:

- هل تعتقد أن لعبة القتل الزائف هذه، من

أعمال (المافيا)؟! خطأ يا رجل.. رجال (المافيا) قساة القلوب، عنيفو النزعة، ولكنهم يلجئون قط إلى التنكر، أو اللعب بمثل هذا الإتقان، إلا من الناحية القانونية فحسب، التي يرعاها جيش من المحامين، الذين نزعوا عنهم ضمائرهم، قبل أن يرتدوا ثوب مهنتهم.. هذه العملية أكبر من هذا بكثير.. إنها حرب يا رجل.. حرب بين أجهزة مخابرات قوية، أحدها حتمًا هو جهاز المخابرات الإسرائيلي، الذي يبدو من الواضح أنه قد خسر معركته، أو جولته هنا.

تدخل (ماتيولي) يقول:

- جهاز المخابرات الآخر عربي إذن.

أومأ (بولو) برأسه موافقًا، وقال في حزم:

- ومصري على الأرجح.

ثم عاد يدير عينيه فيما حوله، قبل أن يضيف في توتر صارم:

- السؤال الآن هو .. من ذلك الكهل الزائف؟ إلى أي جهاز ينتمي؟؟ ومن ذلك الذي حمله من هنا؟!! من؟!

ولم ينبس (مقبولي) ببنت شفة

فجواب كل هذه الأسئلة بدا له غامضًا.

غامضًا للغاية

* * *

احتقن وجه (دافيد دوبهام) في شدة، وهو يوقف سيارته، خلف السيارة التي تركها (أشرف) و(منى)، ويلقي نظرة عليها، مغمغمًا في توتر:

- لقد خدعك .. كيف أبلغ أدون (شيمون) بهذا؟؟

تردد بضع لحظات، قبل أن يهبط من السيارة، ويتجه نحو سيارة (أشرف)، وراح يدور حولها بضع لحظات، وكلما يرفض تصديق كونها خالية أمام عينيه، ثم لم يلبث أن كزّ في عصبية

- لقد خدعانا.

انحنى يلتقط جهاز التتبُّع الدقيق، الذي لا يزيد حجمه على حجم قرص دواء عادي، والذي تم إلصاقه خلسة، في زاوية خفية من جسم سيارة (أشرف) و(منى)، ومطّ شفتيه، مغمغمًا.

- كيف أبلغه أننا قد فقدنا أثره

هزّ رأسه مرتين، ثم أضاف في مرارة

- لن يتردد في قتلي، بلا رحمة أو شفقة

مع آخر حروف كلماته، ارتفع رنين هاتفه المحمول بغتة، فانتفض جسده كله في عنف، قبل أن يلتقطه، ويلقي نظرة على شاشته، قائلاً بكل شحوب الدنيا وذعرها:

- إنه هو.

وعلى الرغم من شهرته بين أقرانه، بالشجاعة والقوة، إلا أنه شعر بأصابعه ترتجف حقًا، وهو يضغط زر الاتصال، قائلاً:

- أدون (شيمون) .. كنت على وشك .

قاطعه (شيمون) في توتر

- (تل أبيب) أخبرتني الآن ، بأمر خطير للغاية .

ازدرد (دونهلم) لعابه في صعوبة ، وهو يسأله في تردد :

- أي أمر هذا ؟!

أجابه (شيمون) في سرعة :

- (جيهان) زميلة (أدهم صبري) ، التي كانت تعالج من إصابتها في مستشفى نوت (كارولينا) في (نيويورك) ، وصلت إلى (القاهرة) مساء أمس ، في طائرة خاصة ، ملك شركة (ميجو سافتو) للإلكترونيات

ازدرد (دونهلم) لعابه مرة أخرى ، قبل أن يسأل في حذر :

- وما المفترض أن يعنيه هذا ؟!

هتف به (شيمون) في حدة :

- افهم يا رجل .. تلك الطائرة الخاصة توقفت في (روما) لدقائق محدودة ، قبل أن تواصل رحلتها إلى (القاهرة) .

لم يستوعب (دونهلم) الأمر ، فلاذ بالصمت ، والحيرة تملأ ملامحه ، فهتف به (شيمون) في غضب :

- ألا تدرك ما يعنيه هذا ؟!

ارتبك (دونهلم) ، وهو يقول :

- أدون (شيمون) .. إنني

قاطعه (شيمون) ، وهو يهتف في حدة :

- (أدهم صبري) هنا أيها الغبي

انسحبت الدماء من (دونهلم) عن آخرها ، وهو يقول في ارتياع :

- (أدهم صبري) ؟! هنا ؟! ألم يلق مصرعه هناك ، في مبنى نوت (كارولينا) في (نيويورك) ؟!

بدا صوت (شيمون) غاضبا بشدة، وهو يقول:

ـ هذا ما حاولوا إيهامنا به، عبر خدعة ما.. خدعة متقنة، إلى الحد الذي انطلت فيه علينا جميعا

هز (دوبهام) رأسه في قوة، وكأنما يعجز عن تصديق الخبر، وهو يقول:

ـ مستحيل! هناك أمر لا أستطيع فهمه أو استيعابه يا أدون (شيمون).. مصادرنا أكدت أن خلافا عنيفا قد نشب، بين (أدهم صبري) هذا ودونا (كارولينا)، نتج عنه قتال عنيف، داخل المبنى الرئيسي بها، انتهى بحصار رجال دونا لرجل المخابرات المصري، في مكتبها، في الطابق الثالث والستين و...

قاطعه (شيمون) بنفس اللهجة

ـ هناك نقاط مازالت غامضة.. ربما قررت (كارولينا) الحفاظ على حياة (أدهم) لسبب أو آخر، فلا يمكنك قط أن تستوعب طرق وأساليب تفكير النساء، والإيطاليات على وجه الخصوص

عاد (دوبهام) يهز رأسه، قائلاً:

ـ أهذا مجرد استنتاج يا أدون (شيمون)، أم

قاطعه (شيمون) مرة أخرى في صرامة

ـ (تل أبيب) تؤكد صحة المعلومة، من خلال عميل لها، في مطار (روما)، أمكنه تعرُّف (الأدهم)، الذي دخل (إيطاليا) بجواز سفر أمريكي، باسم (أمبرتو صاندو)

واستعادت صوته رنة الغضب، وهو يضيف في عصبية، كما حملتها لهجته.

ـ رجل المخابرات المصري يتحدانا، ويعبث بنا، ويواجهنا بأوراق مكشوفة.

صمت (دوبهام) تماما، وعقله مازال يجاهد، محاولاً استيعاب الموقف، ثم لم يلبث أن سأل في توتر:

ـ أدون (شيمون).. وفقا لهذه المعلومات، يفترض أن (أدهم صبري) هذا هنا، منذ ما يزيد على ست أو

سبع ساعات كاملة . فكيف يمكن أن يظل ساكنًا ، طوال كل هذا الوقت ، وسط أحداث عنيفة كهذه .

أجابه (شيمون) فى صرامة :

- بل هو هنا ، منذ ما يزيد على اثنتى عشرة ساعة يا رجل .

وقسا صوته على نحو مخيف ، وهو يضيف :

- أى من قبل حتى أن تصل تلك المصرية إلى (روما) .

جف حلق (دونهام) ، وهو يقول :

- ماذا تريد أن تقول يا ألوف (شيمون) ؟!

خيل لـ (دونهام) أن موجات اللاسلكى الرقمية قد حملت صوت الألوف (شيمون) ، ممتزجًا بصوته الصارم ، وهو يقول :

- أريد أن أقول : إن ذلك المصرى محترف .. محترف حقيقى

ثم سأل فجأة :

- أمازلت تحكم سيطرتك على المصريين ؟!

كان هذا هو السؤال ، الذى ترتجف له كل ذرة فى كيان (دونهام) مسبقًا ، لذا فقد شعر بجسده كله ينتفض مع سماعه ، واختنقت كلماته فى حلقه الجاف ، حتى لم يصدر عنه سوى حشرجة عصبية ، جعلت (شيمون) يهتف فى غضب

- لا تقل لى : إنك قد فقدت أثرهما

بذل (دونهام) جهدًا خارقًا ، ليقول فى خفوت شاحب :

- لقد كشفا أمر جهاز التعقب ، وتخلصا من السيارة كلها يا ألوف (شيمون)

كان يتوقع ثورة غاضبة من رجل المخابرات الإسرائيلى ، لذا فقد بلغت دهشته ذروتها ، عندما سمعه يرد :

- يا للبراعة ! إنهم محترفون بحق .

ازدرد لعابه في صعوبة ، وغمغم

- ولكن (شيمون) .. إنني لم أكن أملك سوى جهاز التتبع ، و ..

قاطعه (شيمون) في حزم

- فليكن .. أنا أعلم جيدًا أين سيجدهما فيما بعد .. المهم أن تعود إلى السفارة فورًا ، لتمارس عملك الرسمي ، في تأمينها وحمايتها ، وخاصة خلال الساعات القليلة القادمة ، فتلك ستشهد حسم القضية كلها

ولم ينطق (دوتهام) بحرف واحد

ولكنه أدرك مدى خطورة تلك الساعات التالية

ساعات الخطر ..

والحسم

* * *

وارتسمت دهشة عارمة ، على وجه مساعد مدير المخابرات العامة المصرية ، وهو يقول ، في لهجة حملت لمحة من الاستنكار :

- سيادة العميد (أدهم) هناك ؟! في (روما) ؟!
وكيف لم نعلم بهذا حتى الآن ياسيدي ؟!

أشار المدير بسبابته ، قائلاً في حزم

- من الواضح أن (ن - ١) كان يرغب في كتمان الموقف إلى أقصى حد ، حتى يصل إلى (روما) .

قال المساعد الثاني ، في شيء من الضيق

- لم يكن من المفترض أن يسري هذا الكتمان علينا ياسيدي ..

ابتسم المدير ، وهو يتراجع في مقعده ، قائلاً :

- كلكم تعرفون (ن - ١) ، مثلما أعرفه تمامًا ، وإذا

كان هناك مايعنيه فى الوجود ، فهو (مصر) ، وأمن (مصر) ، وسلامة (مصر) . وهو يعلم جيدًا أن الموقف الدولى الحالى شديد الحساسية والتوتر ، منذ حادثة سبتمبر ، عام ألفين وواحد ، ولقد منحت الولايات المتحدة الأمريكية لنفسها صلاحيات غير قانونية وغير شرعية ، منذ ذلك الحين ، بحيث ألقت خلف ظهرها كل ماتنادى به ، من قواعد الديموقراطية والعدل والمساواة ، وراحت تتجسس بوقاحة وعلانية ، على كل الاتصالات ، كما راحت تتبادل مع ربيبتها (إسرائيل) كل مالديها من معلومات ووثائق ، وصور الأسر صناعية .. وتلك الأوراق ، التى عثر عليها (صلاح) ، والتقط صورها ، والتى تبحث عنها المخابرات الإسرائيلية فى استماتة ، هى السلاح الوحيد ، القادر على قلب الأوضاع العالمية رأسًا على عقب ، وكشف الخديعة الصهيونية الكبرى ، أمام العالم كله ، و (ن - ١) يعلم أنهم مستعدون لإفناء نصف العالم ، فى سبيل استعادة بطاقة تسجيل

الصور الرقمية ، أو محوها من الوجود ، وأنه لاسبيل لمنعهم من هذا ، سوى اتخاذ أقصى درجات الحيطة والحذر ، بحيث لاينكشف السر ، حتى عبر الموجات اللاسلكية أو الرقمية ، فى ظل شبكة التنصت الأمريكية الكبرى .

تبادل المساعدان نظرة ، أعلنت تفهمهما للموقف ، قبل أن يتساءل الأول فى اهتمام :

- كيف يتفق هذا مع وصول سيادة العميد (أدهم) إلى (روما) ، بجواز سفره الأمريكى ، على نحو سافر صريح ؟

عاد المدير يشير بسبابته ، مجيبًا :

- هذا جزء من خطته .

لم يحاول مناقشة الخطة معهما ، وتفهمها الموقف على الفور ، ولكن المساعد الثانى تساءل :

- ما لا أفهمه حقًا ، هو لماذا تركت دونا (كارولينا)

سيادة الصيد يرحل بسلام، بعدما سيطر عليه رجالها، في الطابق الثالث والعشرين، من مبناها الرئيسي في (نيويورك)؟

صمت المدير طويلاً هذه المرة، قبل أن يلوّح بيده، قائلاً:

- هذا ما سيخبرنا به (ن - ١) حتماً، بعد انتهاء عملية الأوراق الإسرائيلية المكشوفة

وعاد إلى صمته لحظة، ثم أضاف في خفوت.

- كما أتمنى.

ولم يلق المساعدان مزيداً من الأسئلة

فالموضوع كله كان، بالنسبة لهما، مغلفاً بالغموض

كل الغموض..

* * *

ظل (شيمون) صامتاً، لخمس دقائق كاملة أو يزيد، وهو يتطلع إلى (عماد)، الغارق في غيبوبته، قبل أن يلتفت إلى الطبيب الجديد، القادم من (تل أبيب)، ويسأله بالعبرية:

- متى سيعود إلى وعيه في رأيك؟!

أجابه الطبيب، بلهجة مصرية خالصة:

- خلال ساعة على الأكثر... هذا تقول معدلاته الحيوية.

غمغمت (راشيل)، في مقت واضح

- بعدها سأتولى أمر المصرية، و...

قاطعها (شيمون) بالتفاتة سريعة، ليهوي على وجهها بصفعة قوية قاسية، جعلتها تطلق شهقة قوية مذعورة، قبل أن تصرخ بالعبرية:

- كيف تجرؤ.

التقط مسدسه بسرعة مدهشة، وألصقه بجبهتها، قائلاً في غضب هادر، وباللهجة المصرية

ـ غباؤك سيفسد الأمر كله من الأساس .

هتفت في غضب :

ـ كنت أتحدث بالعربية كما أمرت .

قال في صرامة ، وهو يجذب إبرة مسدسه ، وكأنه يهم بإطلاق النار على رأسها بالفعل

ـ ربما ، ولكن بأسلوب إسرائيلي بحت ، وهذا الرائد أمامك رجل مخابرات مصري ، مما يعني أنه ليس سخيفًا أو محدود الذكاء والبراعة ، حتى وهو غارق في غيبوبته هذه ، أو لا يكاد يخرج منها ، ومجرد الحديث بالعربية ، حتى ولو كان بلهجة مصرية خالصة ، لن يكفي لخداعه ... لابد أن يكون كل ما يحيط به مصريًا حتى النخاع ... اللوحات ، واللغة ، والأسلوب ، وحتى الأفكار

وانعقد حاجباه في شدة ، وأطل الشرر من عينيه ، وهو يتابع :



ظل (سيمون) صامتًا ، يفحص بقايا كاميرته ، ويعيد [illegible] وهو يتطلع إلى [illegible] الغاز من عيونه

- وكل خطأ، مهما بدا تافهاً، يمكن أن يعرض العملية كلها للفشل، وعندئذ، لن تتردد لحظة، في نسف رأسك الغبي هذا

ثم أعاد إبرة مسدسه إلى موضعها، وهو يلتفت إلى طاقم الأطباء، مضيفاً في حدة:

- بل وننسف رءوسكم جميعاً

ارتجف الأطباء الإسرائيليون، وتمتم كبيرهم في توتر:

- اطمئن يا سيد (شيمون).. اطمئن.. لقد تم اختيارنا بدقة، لأننا نعود جميعاً إلى أصول يهودية مصرية، وكلنا نتحدث باللهجة المصرية في طلاقة

استدار إليه (شيمون)، ولوّح بمسدسه في وجهه، قائلاً:

- وعلى الرغم من هذا، فقد خاطبتني باسم (شيمون) أليس كذلك؟!

ارتجف الطبيب أكثر، وهو يقول:

- لكن مجرد خطأ يا سيدي.. مجرد خطأ

سأله (شيمون) في غلظة:

- ما اسمي إذن؟!

ازدرد المسكين لعابه في صعوبة، وأجاب بصوت خشن، عبر حلقه الجاف:

- السيد (عبد الرحمن).. مندوب رئاسة الجمهورية

لوّح (شيمون) بمسدسه في وجهه مرة أخرى، قائلاً:

- عظيم.. حذار أن تنسى هذا لحظة واحدة.

- اطمئن.. لن ينسى أحدهم، ما داموا سيكونون فوهة مسدسك...

انطلقت العبارة بالعبرية، في سخرية عصبية، جعلت (شيمون) يلتفت إلى مصدرها في حركة حادة، قائلاً:

- إذن فقد عدت يا (جراهام) .

بدا (جراهام) غاضبًا بشدة ، والضمادات تخفي نصف وجهه ، وهو يقول بالعبرية

- نعم .. عدت يا أدون (شيمون) ، لأشهد بنفسي لعبتك ، التي يصفونها بالعبقرية

انعقد حاجبا (شيمون) ، وهو يقول في صرامة ، وباللهجة المصرية :

- مادموا قد أخبروك بأمرها ، فمن المؤكد أنك تعلم أنه من المحظور أن تتحدث بالعبرية هنا

قال (جراهام) بالعربية :

- إنني أتحدث المصرية أفضل منك ، يا عزيزي .. أقصد (عبد الرحمن) .

تطلع (شيمون) بضع لحظات إلى الضمادات ، التي تخفي نصف وجه (جراهام) ، وتسللت إلى أعماقه لمحة من الشك ، هم بتحويلها إلى كلمات مسموعة ،

لولا أن ظهر (دونهام) في هذه اللحظة ، وهو يقول في توتر

- رجال الشرطة الإيطالية هنا

التفت إليه (شيمون) بحركة حادة ، متسائلاً :

- ماذا يريدون ؟!

أجابه (دونهام) في سرعة :

- (شتادلر) كان يحمل جواز سفر دبلوماسيًا ، ورجال الشرطة الإيطالية يجرون تحرياتهم حول مصرعه ، ولديهم تصريح من وزير الخارجية الإيطالي ، و ...

قاطعه (شيمون) في صرامة :

- هل أبلغت السفير ؟!

هز (دونهام) رأسه نفيًا في بطء ، وهو يقول في حذر :

- إنهم لم يطلبوا مقابلة السفير ، وإنما طلبوا مقابلة المسئول هنا ، و .

لم يستطع إكمال عبارته ، ولكن الجميع فهموا ما يعنيه ، فدفع (شيمون) مسدسه إلى غمده ، وهو يقول :

- سأذهب لمقابلتهم .

ثم التفت إلى (جراهام) ، قائلًا في صرامة

- إياك أن تخرج من حجرة العمليات المركزة ، ولا تتدخل في الأمر ، بأي حال من الأحوال ، وإلا

قال (جراهام) في سرعة وصرامة :

- لن أتدخل .

رمقه (شيمون) بنظرة صارمة ، ثم اندفع خارجًا ، لمقابلة رجال الشرطة الإيطالية ، فالتمعت عينا (جراهام) ، وهو يتمتم مكملًا :

- إلا في الوقت المناسب

لحظتها بدا غامضًا

ومبهمًا

للغاية

* * *

٥ ـ من ؟!

تطلّع (الشريف) في إعجاب إلى (منى)، التي بدت فاتنة بحق، مع ذلك الشعر الأسود المستعار الطويل، الذي ينسدل ناعمًا فاحمًا، حتى منتصف ظهرها، وتلكما العدستين الخضراوين، اللتين جعلتا ملامحها أقرب إلى الإيطاليات، وهي تستند إلى دراجة آلية قوية، على مسافة مائة متر من السفارة الإسرائيلية في (روما)، وقال في خفوت.

ـ تقبلي عذري يا سيادة المقدّم .. عودتنا لمراقبة سيارتنا، التي دسّوا فيها الجهاز، كانت خطوة بارعة بحق، فقد رصدنا ذلك الإسرائيلي، وهو يدور حولها، ويلتقط منها جهاز التتبُّع، ثم تبعناه إلى هنا.

غمغمت (منى):

ـ كان ينبغي أن أتوقّع هذا

ثم التفتت إليه، مستطردة:

ـ الإسرائيليون يحتفظون برجلنا هنا حتمًا، في مبنى سفارتهم، الذي يحوي قسمًا طبيًا خاصًا للطوارئ.

سألها في اهتمام:

ـ أأنت واثقة ؟!

صمتت لحظة، قبل أن تجيب:

ـ في عملنا، لا يمكنك أن تثق بشيء ثقة مطلقة، ما لم تكن لديك أدلة يقينية على وجوده، ولكن الشواهد كلها ترجِّح ما أقول، وكذلك قواعد المنطق، فالسفارة، وفقًا للقوانين الدولية، أرض إسرائيلية، في قلب (روما)، وهذا يجعلها أكثر المناطق الآمنة، في (إيطاليا) كلها، لإخفاء أسير مصاب، ومنحه الرعاية الطبية الكاملة، حتى يستعيد وعيه، ويدلي بما لديه، دون أن تدس الشرطة الإيطالية أنفها في الأمر، أو يتدخل أحد السياسيين

المعارضين .. والأهم أن وجوده داخل أسوار السفارة يمنحهم كل الحق في الدفاع عن أنفسهم ، بكل الوسائل الممكنة في الداخل ، كما يمنع أي مخلوق ، مهما بلغت سلطته ، من تفتيش المكان ، أو اتخاذ أية إجراءات جنائية داخله ..

أومأ برأسه ، وبدا عليه الإعجاب ، وهو يقول :

- تحليل منطقي للغاية .

ثم استدرك في اهتمام :

- السؤال هو .. ما الخطوة التالية ؟!

انعقد حاجباها ، وهي تقول :

- لابد أن نجد وسيلة ما ، لدخول مبنى السفارة الإسرائيلية .

قال في سرعة :

- هذا ليس بالأمر الهين .

أجابته بنفس السرعة :

- وليس بالأمر المستحيل أيضًا

وانطلقت من أعمق أعماق صدرها تنهيدة حارة ، حملت كل لوعة قلبها ، وهي تستعيد كلمات (أدهم) ، مستطردة :

- لا يوجد جهاز أمني ، مهما بلغ إحكامه ، يخلو من ثغرة ما ، في مكان ما .. ثغرة ينبغي أن تبحث عنها ، وتبذل في سبيلها كل الجهد ، حتى يمكنك أن تنفذ منها ، عبر جدار المستحيل .

تطلع إليها بضع لحظات في صمت ، قبل أن يغمغم :

- رائع .

أدهشها قوله ، وأعاد إليها شعورها بأنوثتها بغتة ، فتمتمت في شيء من العصبية :

- ماذا هناك ؟!

ابتسم ، وهو يقول :

- الواقع أن ما يحدث يدهشني ، ويثير إعجابي في الوقت ذاته ، يا سيادة المقدم .

سألته في توتر حذر :

- ولماذا ؟!

هز كتفيه مجيبًا :

- كنت أتصور أنه قد اعتاد العمل ، إلى جوار سيادة العميد (أدهم) ، حتى إنه ليس باستطاعته مواجهة الأمور وحده ، ولكن الساعات القليلة الماضية ، أثبتت العكس تمامًا

عاودها حزنها ، وهي تقول في خفوت :

- العمل معه له طعم آخر .

أجاب في سرعة :

- بالتأكيد .

ثم استعاد ابتسامته ، مضيفًا :

- أراهن على أن هذا رأيه أيضًا .

تخضب وجهها بحمرة الخجل ، على الرغم منها ، وهي تقول في حزن غامر :

- كان رأيه .

واصل التطلع إليها في صمت ، فهزت رأسها ، قائلة ، وقد تراجع حزنها العارم ، واستدعت حزم العمل :

- على أية حال ، لدينا وسيلة مباشرة ، لدخول السفارة الإسرائيلية ، من بابها الرئيسي ، لدراسة حالة الأمن داخلها الآن .

سألها في اهتمام :

- وكيف هذا ؟!

التقطت من جيبها جواز سفر إيطاليًا ، يحمل صورتها ، بهيئتها الجديدة ، وهي تجيب في حزم

- صديقنا (قدري) يمتلك أصابع ذهبية ، قادرة على صنع المعجزات ، وجواز السفر الإيطالي هذا واحد من تحفه الفنية ، التي ستتيح لي دخول السفارة الإسرائيلية ، بطلب رسمي ، للحصول على تأشيرة سياحية إلى (إسرائيل) .

صمت لحظة ، قبل أن يسألها :

- وبم يمكن أن يفيدنا هذا ؟ المفترض أننا نحفظ نظم الأمن داخل السفارة الإسرائيلية ، عن ظهر قلب !

أشارت بيدها ، قائلة :

- بالضبط ، وهذا يعني أنه باستطاعتنا تحديد أي تشدد واضح ، في نظم وأحوال الأمن هناك ، مما يمكن اعتباره دليلاً على وجود شيء خطير ، يحاولون إحكام السيطرة عليه .

عاد الإعجاب يطل من عينيه ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

وصمت وهلة ، ثم سألها في هدوء :

- هل سنذهب معًا ؟!

هزت رأسها نفيًا ، وقالت :

- بل سأذهب وحدي ؛ فالأفضل أن يبقى أحدنا في الخارج مستعدًا ..

واتجهت نحو السفارة الإسرائيلية ، مضيفة في حزم :

- وحرًا .

شيعها ببصره وابتسامته ، وهو يتمتم

- بالتأكيد .. بالتأكيد يا سيادة المقدم

ثم التقط هاتفه المحمول ، مستطردًا ، دون أن يرفع عينيه عنها

- ولكنني أظن أنك بحاجة إلى بعض الدعم المعنوي

لم تسمع (منى) عبارتيه الأخيرتين ، وهي تقترب من مبنى السفارة الإسرائيلية ، وتقدمت من موظف أمن البوابة ، قائلة بالإيطالية

- أريد الحصول على تأشيرة سياحية إلى (إسرائيل)

لم يبد الموظف ترحابًا ، وهو يتناول منها جواز سفرها ، ويلقي نظرة عليه ، قائلاً في شيء من الصرامة :

- أظنك ستنتظرين بعض الوقت يا سيدتي ؛ فالمسئولون لديهم بعض العمل العاجل الآن .

ألقت نظرة على سيارة الشرطة الإيطالية ، التي تقف أمام السفارة ، قبل أن تقول في هدوء :

- سأنتظر .

لاحظت ، وهي تعبر حديقة السفارة ، إجراءات الأمن المشددة ، ونظرات الحذر والشك ، التي يرمقها بها كل مسئولي الأمن ، وزيادة عددهم على نحو ملحوظ ، فتمتمت :

- إنه هنا .

لم تكد تنطقها ، حتى سمعت رنينًا قصيرًا محدودًا ، ينبعث من هاتفها المحمول ، معلنًا استقباله لرسالة رقمية ، فالتقطته بسرعة ، وألقت نظرة على شاشته ، وهي تضغط زر إظهار الرسائل الجديدة ، و ...

« رائع يا عزيزتي .. كنت أعلم أنك قادرة على فعلها بدوني .. أ . ص . »

وانتفضت كل ذرة في كيانها ، وهي تحدق في الرسالة ، التي حملت توقيعه

وصرخ قلبها بصرخة فرح قوية ، لم يسمعها سواها

إنه حي ..

حي ..

ليس هذا فحسب ، ولكنه هنا أيضًا

في مكان ما حولها ..

يراقبها ..

ويحميها .. ويشجعها .

وانتابتها رغبة عارمة ، في أن تتلفت حولها ، بحثًا عنه ..

ولكنها لم تفعل ..

لقد سيطرت على مشاعرها بإرادة فولاذية ؛ حتى لا يلمح رجال أمن السفارة الإسرائيلية انفعالها ، مع حالة الشك والترقب ، التي يعيشونها الآن

فقط ضغطت أزرار هاتفها في سرعة ، محاولة معرفة رقم الهاتف ، الذي أرسل إليها هذه الرسالة

ولكنها لم تجد شيئاً ..

يا لحذره !

حتى رسالته ، أرسلها عبر هاتف مؤمّن .

ولكن الرسالة نفسها تعني أنه قريب .

قريب جداً ..

أين هو إذن ؟!

بل من هو ؟!

من ؟!

من ؟!

* * *

انعقد حاجبا (شيمون) ، وهو يستقبل المفتش (بولو) ، قائلاً في برود :

- هل لي أن أعرف سر هذه الزيارة ، غير المألوفة في عالم الدبلوماسية ؟!

قال (بولو) في شيء من الصرامة :

- لا صلة لزيارتنا بالدبلوماسية وتعقيداتها .. إننا هنا بسبب مصرع أحد رجالكم .. كان يحمل جواز سفر دبلوماسياً إسرائيلياً ، أدركنا أنه من الأرجح أن ..

قاطعه (شيمون) بنفس البرود :

- لقد بلغنا الخبر .. أشكرك .

سأله (بولو) :

- أهو أحد العاملين بالسفارة ؟!

أجابه في سرعة وحزم :

- كلاّ .

رمقه (بولو) بنظرة شك ، وهو يقول :

- كيف يحمل جوازاً دبلوماسياً إذن ؟!

التقط (شيمون) نفسًا عميقًا، وهو يجيب في ضجر:

- إنه موظف في وزارة الخارجية الإسرائيلية.
كلاهما موظف في وزارة الخارجية الإسرائيلية.

انعقد حاجبا (باولو)، وهو يقول:

- كلاهما؟!

أجابه (شيمون) وقد تضاعف ضجره:

- نعم.. ذلك الذي سقط من المبنى، والآخر الذي أصيب وفقد الوعي داخله، و...

قاطعه (باولو)، وهو يهتف:

- آه.. أتقصد المصاب، الذي اختطفه ذلك الكهل الزائف؟!

انعقد حاجبا (شيمون)، وهو يسأله في حذر:

- مصاب.. اختطاف.. كهل زائف؟! قل لي أيها المفتش.. ما الذي تعنيه بكل هذا بالضبط.

قص عليه المفتش (باولو) كل ما قاله رجل أمن المبنى، الذي سقط منه (شندلر)، وازداد انعقاد حاجبي (شيمون) بشدة وتوتر، وهو يستمع إليه في انتباه تام، وعقله يرسم مجموعة من الصور المتتابعة السريعة..

(منى) تحطم كف وكتف (جراهام)..

كهل غامض زائف، يختطف (جراهام) قبل وصول رجال الشرطة الإيطالية..

(جراهام) يعود إلى السفارة، بضمادات تخفي نصف وجهه، دون أن يشير مجرد إشارة لخروجه الغامض من المكان..

(أدهم) في (روما)..

(أدهم) هنا..

هنا..

ثم تصاعدت دفعة صورة محددة

صورة (منى)..

وبسرعة البرق ، استعرض صورتها ، مع كل المختزن في ذهنه ..

وتألقت عيناه على نحو وحشي

إنها هي ..

زميلة (أدهم) الأثيرة ..

هي التي حطمت أنف وفك (جراهام)

(جراهام) ..

امتلأ ذهنه كله بصورة (جراهام) والضمادات تغطي نصف وجهه ..

وبكل غضب الدنيا ، هتف :

- إنه هو .

تساءل المفتش (بولو) في حذر ، عندما عجز عن فهم الهتاف ، الذي ألقاه (شيمون) بالعبرية .

- ماذا ؟!

دفعه (شيمون) أمامه فجأة ، وهو يقول في صرامة متوترة :

- معذرة أيها المفتش . لدينا أمور عاجلة وخطيرة ، تحتم عدم وجود أي غرباء ، داخل المبنى الإداري للسفارة .

هتف المفتش (بولو) معترضًا

- ولكن ..

قاطعه (شيمون) في شراسة ، وهو يدفعه عنوة خارج المكان :

- لا يوجد لكن . قلت لك إنه أمر عاجل وخطير للغاية .

أغلق الباب في قوة وراء المفتش ، ثم التقط هاتفه المحمول ، وضغط أزراره في سرعة ، وهو يقول :

- (دوبهلم) . أخرج كل الأجانب من المكان ، وأغلق أبواب السفارة في إحكام .

سأله (دوبهلم) ، وقد فجرت الأوامر الصارمة فيضًا من الانفعالات ، في أعماقه :

- ماذا هناك يا أدون (شيمون) ؟!

هتف (شيمون) بكل انفعال الدنيا :

- (أدهم) هنا يا رجل .. (أدهم صبرى) هنا .

صاح (دونهام)، وقد شمله الانفعال .

- فلنلق القبض على كل الأجانب إذن

هتف (شيمون) فى حدة :

- كلا أيها الغبى .. إنه ليس هنا باعتباره أحد الأجانب .. إنه واحد منا .. واحد من الإسرائيليين فى السفارة .

سأله (دونهام) وقد جف حلقه انفعالاً :

- واحد منا ؟! من هو يا (شيمون) ؟! من هو ؟!

زمجر (شيمون)، وهو يقول فى صرامة :

- اسمعنى جيدًا أولاً .. إننا لا نواجه شخصًا عاديًا ، بل نواجه محترفًا ، على أعلى مستوى من الاحتراف ، وينبغى أن نتعامل معه ، بما يتناسب مع مستواه ، حتى ولو كان داخل أسوار سفارتنا ، ومحاطًا برجالنا

سأله (دونهام) بمنتهى الانتباه :

- بم تأمر يا سيد (شيمون) ؟!

أجابه رجل المخابرات الإسرائيلى فى حزم :

- عملية إخلاء السفارة من الأجانب ، ينبغى أن تتم بمنتهى الهدوء والسرعة ، وبحجة منطقية تمامًا ، وبأسلوب شديد التهذيب ، ولنقل مثلاً إن أجهزة الكمبيوتر قد تعطلت ، بسبب عيب فى الشبكة الرئيسية ، وإن العمل سيتوقف مؤقتًا ، وفى الوقت ذاته ، أريد محاصرة مبنى السفارة ، وطوابقها بالتحديد ، ووضع حراسة مكثفة حول حجرة القيادة المركزية ، بحيث لا يمكن أن تغادرها بعوضة ، دون أن نسمح لها بهذا .

قال (دونهام) فى حماسة :

- كل شىء سيسير كما أمرت يا سيد (شيمون)

ثم استطرد فى سرعة :

- فقط أريد أن أعرف .. من هو (أدهم صبرى) ؟!

أجابه (شيمون) بكل صرامة الدنيا ، وهو يسحب مسدسه من غمده ، ويسحب مشطه في قوة ، ثم يقلبه ، ليرتد بصوت معدني حاد ، مع قوله :

- خصمي وخصمك يا (دوبهام) . الرجل الذي تصوّر نفسه عبقريًا ، وتصوّرنا من الغباء ، بحيث تكفي مجموعة من الضمادات لإخفاء وجهه ، وخداعنا جميعًا .

وارتفع صوته على نحو عنيف ، وهو يضيف ، بكل غضب الدنيا :

- (جراهام) . (أدهم صبري) ينتحل شخصية (جراهام) .

صمت (دوبهام) لحظة ، ثم قال في انفعال حقيقي .

- هذا يضاعف من متعة إسقاطه

أجابه (شيمون) ، قبل أن ينهي المحادثة

- المهم أن يتم الأمر بسرعة ودقة وذكاء .

دس مسدسه مرة أخرى في غمده ، وأعاد هاتفه المحمول إلى جيبه ، وهو يقول في حزم صارم شرس -

- فليكن يا (أدهم) لقد أتيت بقدميك إلى هنا ، ونجحت في دخول سفارتنا ، تحت سمعنا وأبصارنا ..
ولكن الدخول لم يكن أبدا مشكلة

واندفع خارج المكان ، وهو يضيف بلهجة رجل تحفزت كل حواسه للقتال :

- المهم الخروج

وكان على حق تمامًا ، في كل حرف نطق به ..

المشكلة لم تكن أبدًا في دخول (أدهم) ، إلى قلب السفارة الإسرائيلية في (روما)

المهم هو نجاحه في الخروج منها

على قيد الحياة ..

* * *

منذ اللحظة الأولى ، التي بدأت فيها عملية إخلاء السفارة الإسرائيلية من الأجانب ، أدركت (منى) أن (أدهم) هناك ..

في الداخل ..



وفور خروجها من المكان ، اندفعت نحو الموقع الذي تركت فيه [أشرف] مع الدراجتين البخاريتين

وعلى الرغم من أنها قد تصاعدت ـ مظهريًا ـ لعملية بخلاء السفارة ، إلا أن كل ذرة في كيانها كانت ترتجف ، على نحو لم تشعر به من قبل قط ، من فرط الانفعال والإثارة

وفور خروجها من المكان ، اندفعت نحو الموقع ، الذي تركت فيه (أشرف) ، مع الدراجتين البخاريتين ، وهي تقول :

ـ فلتقطع ذراعي ، إن لم يكن (أدهم) بالداخل

سألها في اهتمام !

ـ ومن أدراك ؟!

قالت ، وهي تلهث ، من فرط الانفعال :

ـ استحكامات الأمن الشديدة هذه .. إنهم لن يفعلوا هذا ، إلا إذا كان هناك خطر داهم ، يواجههم داخل أسوار المكان وتألقت عيناها ، وهي تضيف :

ـ ولا يوجد خطر على الإسرائيليين ، يفوق (أدهم صبري) .

ابتسم ، مردفًا :

ـ صدقت

ثم سألها فى سرعة :

ـ ماذا تقترحين الآن ؟!

أجابته فى حسم :

ـ لو أن (أدهم) فى الداخل كما أتوقع ، فكل ما يمكننا فعله هو أن ننتظر ، وأن نتأهب للتدخل ، فى أية لحظة

أشار بسبابته ، قائلاً :

ـ إنهم يغلقون أبواب السفارة فى إحكام ، والحرس المسلحون ينتشرون فى كل مكان .

كررت فى حزم :

لابد أن نستعد للتدخل ، فى أية لحظة

سألها بابتسامة خبيثة :

ـ حتى لو اقتحمنا المكان ؟!

أجابته فى صرامة أكثر حزمًا :

ـ حتى لو أشعلنا النار فى (روما) كلها ، كما فعل (نيرون)(*)

قال فى هدوء :

ـ (نيرون) كان مجنونًا عندما فعلها .

لوَّحت بيدها ، مجيبة :

ـ وأنا سأصبح أكثر جنونًا منه ، لو مسَّ هؤلاء الأوغاد شعرة واحدة ، من رأس (أدهم)

ابتسم (أشرف) ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ـ محظوظ هو ، سيادة العميد (أدهم)

رمقته بنظرة صارمة ، ثم أدارت عينيها إلى مبنى السفارة الإسرائيلية ، وعقلها كله يفكر فى أمر واحد

(*) (كلوديوس قيصر نيرون) (٣٧ ـ ٦٨م) طاغية رومانى ، فى حرب البونية الثانية . اتسمت تصرفاته بالغة الوحشية ، التى جعلته مضربًا للأمثال ، فقد قتل أمه ، ثم زوجته (أوكتافيا) ، وينسب إليه حريق روما الكبير (٦٤م)

تُرى من منهم (أدهم صبرى) ؟!

وكيف سيواجه كل هؤلاء ؟!

كيف ؟!

وظل السؤال ينهش عقلها ..

عقلها ، وقلبها معًا

بلا هوادة

أو رحمة

أو جواب

أى جواب

* * *

فى هدوء شديد ، وبلا أية انفعالات ظاهرية على الإطلاق ، تقدم (شيمون) من (جراهام) ، الذى وقف يراقب ما يحدث داخل حجرة العناية المركزة ، فى قبو مبنى السفارة الإسرائيلية ، بمنتهى الاهتمام والانتباه ، وما إن أصبح إلى جواره ، حتى قال ، وكأنه منشغل

بدوره بمراقبة الحجرة ، عبر نافذة من الزجاج مزدوج الانعكاس :

ـ سيستعيد وعيه بعد قليل .

التفت إليه (جراهام) ، مغمغمًا فى شىء من التوتر ، يتناسب تمامًا مع شخصيته :

ـ نعم . الأطباء أكدوا هذا .

ثم عاد يلتفت إلى الحجرة ، عبر الزجاج ، الذى يسمح له بمتابعة ما يدور داخلها ، فى حين يبدو من الجانب الآخر ، أشبه بمرآة عاكسة ، مستطردًا :

ـ ولكننى أعترف بأنها خدعة مذهلة .

رمقه (شيمون) بنظرة حذرة ، وهو يتحسس مسدسه ، متسائلاً :

ـ هل راقت لك ؟!

أومأ (جراهام) برأسه ، قائلاً :

ـ إنها عبقرية بحق ، فذلك الصبى مصاب ، وفاقد الوعى ، منذ بداية العملية ، وعندما يستيقظ ليجد

نفسه في مدخل قصري ، ومحاطا بأطباء مصريين ، سيتصور أنه قد عاد إلى وطنه ، ولو تقدم إليه من يقنعه بأنه مندوب للمخابرات العامة ، فمن المحتمل جداً أن يدلي بما لديه ، بمنتهى الثقة والهدوء ، باعتبار أنه إنما يخبر زملاءه بما يحتاجون إلى معرفته .

انعقد حاجبا (شيمون) ، وهو يسحب مسدسه في حذر ، قائلاً :

- عجباً ! هل أدركت كل هذا وحدك ؟!

قال (جراهام) ، في شيء من الصرامة :

- الأمر لا يحتاج إلى الكثير من الذكاء يا (شيمون) .

قال (شيمون) في حدة :

- ولكنني لم أعهدك حاد الذكاء

ابتسم (جراهام) في سخرية ، وقال دون أن يلتفت إليه .

- ربما تضاعف ذكائي ، مع قدومك من (تل أبيب)

ازداد انعقاد حاجبي (شيمون) في شدة ، وقد بدت له تلك السخرية متناقضة تماماً ، مع شخصية (جراهام) التي يعرفها

ولكنها تتفق تماماً مع شخصية أخرى .

شخصية جعلته يواصل سحب مسدسه ، في حذر مقيت ، وهو يسأله في صرامة ، تحمل الكثير من توتره وقلقه :

- قل لي يا (جراهام) .. كيف نجوت من رجال الشرطة ؟!

هز (جراهام) رأسه ، قائلاً :

- لست أدري .. لقد هاجمتني تلك المصرية ، وأفقدتني الوعي ، ثم استيقظت لأجد نفسي داخل سيارتي ، على مسافة عشرين متراً من المبنى .

والتفت إلى (شيمون) ، بوجهه الذي تغطي الضمادات نصفه ، وهو يكمل :

- والتفسير الوحيد هو أنها وزميلها قد أخرجاني من هناك ، حتى لا يحدث احتكاك بيني وبين رجال الشرطة ، يمكن أن يتطور ليكشف أمرهما .

قال (شيمون) في صرامة :

- ولكن هذا لم يحدث .

سأله (جراهام) في توتر :

- وكيف عرفت هذا ؟!

تجاهل (شيمون) السؤال تماماً ، وهو يسأله في صرامة :

- قل لي أنت يا (جراهام) : لماذا يبدو صوتك مختلفاً عن طبيعته إلى حد ما ؟!

أشار (جراهام) إلى فمه ، وهو يقول في حدة :

- لأنني فقدت اثنتين من أسناني الأمامية .. ألا يبدو هذا واضحاً ؟!

حاول (شيمون) أن يبتسم ، وهو يقول

- بل يبدو واضحاً .. وربما أكثر مما ينبغي

مع آخر حروف كلماته ، هتف كبير طاقم الأطباء ، وهو يلتزم باللهجة المصرية الخالصة

- سيستعيد وعيه بعد قليل .

استدار (جراهام) في حركة حادة ، فور سماعه العبارة ، وتطلع عبر الزجاج مزدوج الانعكاس ، في اهتمام بالغ ، إلى (صلاح) ، الذي بدأ جفناه يرتجفان على نحو واضح ..

أما (شيمون) ، فقد أدرك أن الموقف قد أصبح شديد الدقة والحساسية ، وأنه لم يعد من الممكن إضاعة ثانية واحدة أخرى .

لذا ، فقد أكمل سحب مسدسه ، وألصق فوهته بصدغ (جراهام) ، وهو يهتف في صرامة وحشية هادرة :

- إياك أن تتحرك .

ولكن (جراهام) لم يلتزم بالأمر .

ولم يرتجف للصرخة ..

لقد تراجع بحركة حادة ، وسحب مسدسه بدوره ، و ...

وانفتحت أبواب الجحيم ..

على مصراعيها

* * *



٦ ـ دوى الرصاص ..

على الرغم من كل مابذلت من جهد ؛ لإخفاء روح السخرية والشماتة فى أعماقها ، لم تنجح (لورا كيرمان) فى كتمان لمحة من العبث ، حملتها كلماتها ، وهى تجلس أمام شاشة الاتصال الكبيرة ، التى تنقل صورة مستر (×) الذى غرق وجهه فى ظلام مدروس كالمعتاد ، قائلة :

ـ إذن لقد تجاوزت دون (كارولينا) المحنة ، واستعادة السيطرة على عصابتها الكبيرة ، واحتفظت فيها بمقعد الزعامة .

قال مستر (×) بصوته ، الذى يعمل جهاز خاص على تغيير نبرته وتحويرها

ـ تسرُّع ذلك الغبى (جومتى) ، وحماقته وتهوره ، أسهمت كلها فى إفساد الخطة الرئيسية ، ولو أنه

التزم بما أمرته به، لسارت الأمور على نحو مختلف تمامًا(*) .

رفعت أحد حاجبيها، في سخرية لم تحاول إخفاءها هذه المرة، وهي تقول:

- وآخر الأخبار تقول إن (أدهم صبري) قد نجا مرة أخرى، من موت محقق، بعد أن هزم جيش الجنرال الأحمق (التزو)، في صحراء (المكسيك)(**)

ويبدو أن روح الشماتة في أعماقها قد بلغت مداها، حتى إن ضحكة ساخرة قد أفلتت من بين شفتيها، قبل أن تضيف:

- ونجا من حيلتك السابقة دون أيضًا

صمت مستر (×) بضع لحظات، ثم لم يلبث أن مال إلى الأمام، وهو يقول في صرامة.

- وهل يسعدك هذا؟!

(*) راجع قصة (رجل ودماء) المغامرة رقم (١١١)

(**) راجع قصة (رجل ووحش) المغامرة رقم (١٤٢)

هزّت كتفيها، وهي تشعل سيجارتها، قائلة:

- ولماذا يسعدني؟!

أجابها بكل صرامة الدنيا:

- مثلي نفسك.

نفثت دخان سيجارتها في عمق، قبل أن تقول:

- إنني لم أحاول الاتصال بك يا مستر (×) بعد عودتي من صحراء (المكسيك)، وبعد أن أخفيت عني أنني كنت أحمل حقيبة من المتفجرات القوية طوال الوقت.

قال في صرامة:

- كان هذا لدواعي العمل.

مالت إلى الأمام، قائلة في سخرية صريحة.

- وهل حققت تلك الدواعي هدفها؟!

صمت مستر (×) طويلاً هذه المرة، قبل أن يقول، في لهجة قاسية مخيفة

- أسلوبك هذا يعرّض وجودك كله للخطر يا (نورا)

نفثت دخان سيجارتها في قوة مرة أخرى ، وقالت في شيء من الحدة

- مستر (×) .. تذكّر أن اتصالنا هذا قد تم من جانبك أنت ، وليس من جانبي أنا ، فأخبرني ماذا تريد مني ، بدلاً من أن نتشاحن على هذا النحو

اعتدل في مقعده ، وبدا من الواضح أنه يبذل جهداً خارقاً ؛ للسيطرة على مشاعر الغضب في أعماقه ، قبل أن يقول في حزم :

- أريد منك أن تسافري فوراً إلى (روما)

ارتفع حاجباها في دهشة ، قبل أن تقول في عصبية :

- هل سترسلني لمواجهة (أدهم) هذه مرة أخرى ؟!

أجابها في سرعة :

- أنت أكثر من أثق فيها ، في المنظمة كلها يا (نورا)

قالت ، وهي تتراجع في مقعدها ساخرة :

- حقاً ؟! وما الدليل على هذا ؟!

أجابها في غلظة :

- أنني أختارك دوماً للعمليات الخاصة ، شديدة الأهمية والخطورة .

نفثت دخان سيجارتها ، وهي تقول بنفس السخرية :

- وما الذي سترسله في حقائبي هذه المرة ؟! أقنبلة نووية أم هيدروجينية ؟!

صمت مستر (×) لحظة أخرى ، ثم مال نحو الشاشة ، قائلاً :

- هل تعرفين السبب الرئيسي للثقة بك يا (نورا) ؟!

هزت كتفيها ، ولوحت بإصبعها الممسكة بسيجارتها في عبث ، قائلة بابتسامة ساخرة :

- أهو جمالي الفتان ؟!

أجابها في سرعة وحزم :

- بل أسلوبك السخيف هذا .

خُيّل إليها أنه لم تفهم ما يعنيه ، فاعتدلت بحركة حادة ، متسائلة :

ـ هكذا ؟!

واصل ، وكأنه لم يسمع سؤالها :

ـ خبرتي علمتني أن من يجاهرون بضعفهم ومشاعرهم ، على هذا النحو السخيف ، يفرغون كل ما بداخلهم عبر ألسنتهم وحدها . لذا فهم يؤدون كل ما يُطلب منهم فيما بعد ، بمنتهى الإخلاص والحماسة

لم يرق لها تحليله لشخصيتها ، فشعرت بأنه سيهزمها مرة أخرى ، قائلة في عصبية :

ـ لا تعتمد على هذا كثيراً .

ولأن جهاز تصوير الفيديو لم يكن كافياً ، لإخفاء ما تحويه الكلمات من مشاعر وانفعالات ، فقد بدت لها كلماته ساخرة ، وهو يعتدل ، قائلاً :

ـ سنرى

اعتدلت في حركة حادة ؛ لتقول شيئاً ما ، لولا أن

تناهى إلى مسامعها فجأة صوت ما ، داخل منزلها الأنيق ، فالتفتت إليه ، قائلة في توتر شديد :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

لم تكد العبارة تتجاوز شفتيها ، حتى انقطع الاتصال من جانبها فجأة ، وأظلمت شاشة مسيو (×) تماماً ، فانعقد حاجباه في شدة ، وهو يهتف :

ـ ماذا حدث ؟!

ضغط أزرار الاتصال مرة ، والثانية ، والثالثة ، وهو يهتف :

ـ (لورا) .. ماذا حدث عندك ؟!

لم يتلق جواباً ، لأربع دقائق كاملة ، مما جعله يتراجع في مقعده ، وهو يقول في صرامة :

ـ أمر يثير القلق بحق .. لا بد من الاتصال بأحد عملائنا في (باريس) ؛ ليتحرّى الأمر ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، عادت شاشة الاتصال تضاء فجأة ، ليظهر عليها وجه (لورا) مجدداً ، وهي تقول في توتر

- أما زلت هنا يا مستر (x) ؟! عظيم .. صندوق التحكم الكهربى الرئيسى فى منزلى اشتعل ، وقطع التيار الكهربى كله دفعة واحدة

سألها مستر (x) فى حذر

- أهذا ما جذب انتباهك ، قبل انقطاع الاتصال مباشرة ؟!

أشارت بيدها فى توتر ، مجيبة :

- أكثر انتباهى ؟! بل قل .. إنه قد أصابنى برعب حقيقى ، فقد تصورت أن أحدهم قد اقتحم منزلى ، على الرغم من أجهزة الإنذار الحديثة .. فى كل مكان ، وعندما انقطع التيار الكهربى ، وجدت نفسى أصرخ هلعًا ، مع رؤية ألسنة اللهب .. أو رؤية وهجها وسط الظلام المفجع ..

وانطلقت من أعمق أعماق صدرها زفرة عصبية ، قبل أن تتابع :

- إننى لم أستطع السيطرة على أعصابى بعد .

غمغم ، فى حذر أكثر .

- أمر طبيعى

التقطت سيجارة من علبتها ، بأصابع مرتجفة متوترة ، وأشعلتها فى عصبية واضحة ، قبل أن تتساءل :

- المهم .. ماذا تريد أن تفعل فى (روما) يا مستر (x) ؟!

صمت الزعيم الخفى بعض الوقت ، وكأنما يتأمل ملامحها المتوترة المضطربة ، قبل أن يقول فى هدوء عجيب :

- فقط اذهبى إلى هناك ، وسأخبرك ماذا عليك أن تفعلى ، بعد أن يستقر بك المقام فى (روما) .

نفثت دخان سيجارتها ، وهى تقول فى عصبية .

- فليكن يا مستر (x) .. فليكن .. سأعد حقائبى ، وأسافر على أول طائرة إلى (روما) .

قالتها ، ثم ضغطت زر الاتصال ، لتنهى المحادثة

من جانبه ، فانعقد حاجبا مستر (x) في شدة ، وهو يتراجع في مقعده ، مغمغمًا في قلق شديد .

- حديثك لم يقنعني يا (لورا) .. لم يقنعني أبدًا

وجذب إليه جهاز الكمبيوتر النقال ، وراح يرسل رسالة عاجلة ، عبر شبكة الإنترنت ، إلى واحد من أهم رجاله في (باريس) ، مستطردًا :

- هناك سبب آخر لتوترك الشديد هذا .. سبب أكثر خطورة من اشتعال صندوق تحكم كهربي .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، في مكان مجهول من العالم ، كانت (لورا كيلرمان) تلقي سيجارتها في عصبية ، في ركن منزلها الفاخر في (باريس) ، وهي تلتفت إلى فوهة مسدس مصوبة إلى رأسها ، قائلة :

- والآن ماذا ؟! لقد فعلت كل المطلوب

ارتجفت كل ذرة من كيانها ، مع مرأى الإبهام ، الذي جذب إبرة المسدس ، فواصلت في عصبية مذعورة :

- لا .. لا يمكن أن يكون جزائي رصاصة ! مجرد رصاصة !

ارتفعت فوهة المسدس ، واقتربت أكثر من رأسها ، فانفجرت الدموع من عينيها ، وهي تقول :

- أرجوك .. إنني مستعدة للتعاون بأي شكل .. مقابل أي شيء في الوجود ، مقابل حياتي .. الرحمة

ولثوان ، طالت حتى بدت نصف دقيقة كاملة ، ظلت فوهة المسدس موجهة إلى رأسها ، متجاهلة دموعها الغزيرة ، وحالة الانهيار العنيف ، التي شملت كيانها كله ، ثم ، وببطء شديد ، تقلصت فوهة المسدس ، وتألق بريق عجيب من العينين الصارمتين خلفها .

وكان هذا يعني أن عرض (لورا كيلرمان) قد تم قبوله ..

وأن صفقة جديدة ، في طريقها إلى الانعقاد ، في تلك اللحظة ..

صفقة من صفقات الشر ..

* * *

سرت ارتجافة عصبية ، فى جسد (منى) ، عندما التقطت أذناها صوتا خافتا مكتوما ، يأتى من داخل مبنى السفارة الإسرائيلية ..

كان صوتا يمكن ألا يجتذب انتباه أى مخلوق عادى

ولكنه ، بالنسبة لخبيرة ومحترفة ، كان صوتا معروفا ..

ومألوفا ..

ومخيفا

كان صوت دوى رصاصتين ، لا يفصلهما سوى جزء من ألف من الثانية ، انطلقتا فى مكان ما ، فى أعماق مبنى السفارة

وبكل انفعالها ، هتفت :

ـ (أدهم) فى خطر

أشار إليها (الشريف) ، قائلا فى حزم

ـ لقد سمعت دوى الرصاصات مثلك ولكنه لا يعنى أن سيادة العميد (أدهم) معرض للخطر هناك

امتطت دراجتها الآلية ، وهى تقول

ـ ولكنه يعنى أنهم قد كشفوا أمره

أمسك (الشريف) يدها فى قوة ، قبل أن تدير محرك دراجتها الآلية ، وهو يقول فى صرامة

ـ ليس بالضرورة

أدهشتها قوة أصابعه الفولاذية ، والأسلوب الحازم الصارم ، الذى استوقفها به ، على الرغم من أنها تفوقه رتبة ، من الناحية الرسمية ، فالتفتت إليه بحركة حادة ، وكادت تهتف بعبارة ما

لولا أن ارتطمت عيناها بعينيه

ولسبب ما ، ارتجف قلبها بين ضلوعها فى عنف

صحيح أن العينين لا تتشابهان

ولكنهما نفس النظرة

نفس الحزم

والقوة

والمهابة

وفي استسلام عجيب ، وجدت نفسها تتراجع عن إدارة محرك برلجتها الآلية ، وهي تتساءل .

ـ ماذا تعني ؟!

ترك (أشرف) يدها ، وهو يجيب في حزم :

ـ لو أن سيادة العميد (أدهم) بالداخل ، فمن المحتم أنه لن يكون من السهل عليهم كشف حقيقته ، ولو أننا سمعنا دوى رصاصات في الداخل ، فليس من الضرورة أن يتعلق هذا به

قالت في توتر :

ـ أنت واثق من هذا ؟!

قالتها ، وهي تتطلع إلى عينيه مباشرة ، وكأنها تحاول سبر أغواره ، أو قراءة ما يدور في عقله ، أو ما يختفي خلف ملامحه القوية ، فلاذ هو بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب .

ـ تمام الثقة .

سألته في سرعة :

ـ وكيف ؟!

لم يحاول الفرار بعينيه ، من نظراتها الفاحصة ، وهو يقف صامتًا بضع لحظات ، ثم يجيب في صرامة

ـ اسمحيلي لثقته .

كيانها كله راح يرتجف في أعماقها ، دون أن تنتقل رتجافتها إلى جسدها ، وهي تتطلع إليه بكل الحيرة

وفي رأسها ، تحلق ألف سؤال وسؤال .

وألف لمحة من المشاعر والأحاسيس .

ولكن أيًا من هذا لم يبرز قط على السطح .

ولم يفصح عن نفسه أبدًا

كل ما حدث ، هو أن غمغمت في خفوت

ـ إنني أثق بك جدًا

تراجع ، وهو يبتسم ، قائلًا :

ـ عظيم .

سألته فجأة :

- (أشرف) .. من علمك بالضبط ؟!

أدهشتها تلك الابتسامة على شفتيه .. وهو يجيب

- (صالح) .. اسمي (أشرف صالح)

وعاد كيانها كله يرتجف .

بقوة ..

* * *

رصاصتان دويتا في المكان ، في لحظة واحدة تقريبا ..

رصاصة (شيمون) ..

ورصاصة (جراهام) .

ففي نفس اللحظة ، التي وثب فيها (جراهام) جانبا ، وسحب مسدسه ، أطلق (شيمون) رصاصته نحوه ..

وانطلقت رصاصة (جراهام) ، مع اختراق رصاصة

(شيمون) لكتفه اليمنى ، واخترقت أرضية الحجرة ، قبل أن يسقط (جراهام) ، صائحا بالعبرية

- أيها الـ ..

وثب (شيمون) نحوه ، وهوى بمسدسه على أنفه ، صائحا :

- المفترس .

تفجرت الدماء من ركن شفتي (جراهام) ، ورأسه يرتطم بالأرض في عنف ، في حين تراجع (شيمون) بحركة حادة ، هاتفا

- أوقفوه ..

اندفع ثلاثة من رجال أمن السفارة نحو (جراهام) وصوب اثنان منهم مسدسيهما الآليين نحوه في تحفز شرس ، في حين أسرع الثالث يختطف مسدسه ، في حين صاح الطبيب الإسرائيلي بالعربية

- أي عبث هذا ؟! الرجل هنا سيستعيد وعيه بعد قليل ، وما يحدث هنا سيفسد ما فعلته تماما

هتف به (شيمون)، وهو يلهث على نحو عجيب، وكأنه بذل جهدا خارقا، خلال الدقيقة السابقة.

- لقد انتهى الأمر تقريبًا.

ثم انعقد حاجباه، وهو يتبع رجال الأمن، الذين يجبرون (جراهام) على النهوض، وهذا الأخير يصرخ في ثورة.

- لقد جلبت ... جلبت حتفك يا (شيمون).

شدّ (شيمون) قامته، وهو يقول في صرامة:

- انزعوا هذه الضمادات عن وجهه

صرخ (جراهام):

- أرأيت ؟! هذا جنون مطلق.

أسرع رجال الأمن ينفذون أمر (شيمون)، و(جراهام) يقاومهم في عنف واستماتة، متابعا:

- إنني أحذركم ... لمنعكم من لمس ضماداتي هذه لأنني مصاب، وسأبلغ القيادة عنكم، لو أصابني أي مكروه.

سرى التوتر في جسد (شيمون)، مع هذا الأسلوب العصبي العنيف، الذي يتناسب تمامًا مع شخصية (جراهام) المألوفة، وبدأ الشك ينهش كيانه في وحشية، وهو يراقب ما يحدث، و...

« إن وجهه مصاب بالفعل... »

انتفض جسد (شيمون) في عنف، عندما نطق أحد رجال الأمن العبارة، بعد رفع الضمادات عن وجه (جراهام) الذي صاح في غضب هادر.

- بالطبع! ماذا كنتم تتصورون إذن هل سأتقبل الإصابات أيها الحمقى؟!

حدّق (شيمون) في وجهه بذهول، فصاح فيه (جراهام):

- سأبلغ الرؤساء بما فعلت بي (شيمون)... سأطير هذا إلى (تل أبيب) فورًا. لقد أصبتني برصاصة من مسدسك... أقسم أن يؤدي هذا إلى فصلك من الخدمة.

سحب (شيمون) مسدسه، واندفع نحوه فجأة فصرخ (جراهام):

- والآن ماذا؟

ألصق (شيمون) فوهة مسدسه بعنقه فجأة، وهو يهتف به في شراسة:

- اصمت.

امتقع وجه (جراهام)، وهو يقول مرتجفًا:

- هل .. هل ستقتلني؟!

جذب (شيمون) أذنه، على نحو جعله يصرخ في

- أيها المجنون.

تراجع (شيمون) بحركة حادة، وحدق في وجهه بذهول أكثر، وهو يعيد مسدسه إلى غمده، مرددًا:

- ولكن... ولكنك (جراهام) الحقيقي

صاح (جراهام) في غضب:

- بالطبع أيها الأحمق المتهور... من كنت تظنني؟



ألصق (شيمون) فوهة مسدسه بعنقه فجأة، وهو يهتف به في شراسة: اصمت

تراجع (شيمون) أكثر ، وبدا أشبه بالمصعوق ، و (جراهام) يمسك كتفه المصابة ، صائحا :

- أنت حطمت نفسك يا (شيمون) قضيت على مستقبلك .

صاح الطبيب الإسرائيلي في عصبية :

- لن توقفوا هذا العبث ، قبل أن يستعيد الرجل وعيه

صرخ فيه (جراهام) :

- لن تلزم أنت بصمتك أيها الغبي ؟! ألا ترى أنني مصاب برصاصة ، واحتاج إلى إسعاف عاجل ؟

انعقد حاجبا (شيمون) ، وهو يندفع نحوه ، هاتفًا :

- أنا أعرف ما تحتاج إليه بالضبط .

وقبل أن يدرك (جراهام) ما يعنيه ، هوى (شيمون) بقبضته على فكه بلكمة ساحقة ، اتسعت لها عيناه

عن آخرهما ، قبل أن يسقط فاقدًا للوعي ، والدماء تنزف من فكه وكتفه في غزارة ، فهتف (شيمون) في صرامة :

- أخرجوه من هنا .

أسرع رجال أمن السفارة ينفذون الأمر ، في حين قال الطبيب في عصبية :

- إنه على حق .. إصابته تحتاج إلى إسعاف

التفت إليه (شيمون) قائلا في شراسة :

- فيما بعد .

وعاد يربط عنقه في عصبية واضحة ، مستطردًا :

- لدينا مهمة تفوقه أهمية الآن

بذل جهدًا حقيقيًا للسيطرة على مشاعره ، قبل أن يتابع في حزم :

- متى سيستعيد رجل المخابرات المصري وعيه بالضبط ؟!

أجابه الطبيب الإسرائيلي في توتر

- في أية دقيقة الآن ... معدلاته الحيوية تحسنت كثيرا وتقترب من المعدلات الطبيعية، وهذا يعني أن

قاطعه (شيمون) في صرامة، وبلغة عربية مصرية:

- لا أريد معرفة التفاصيل.

ثم التقط نفسا عميقا، قبل أن يضيف

- المهم الآن أن يتذكر كل تفاصيل الخطة، وأن يتم التعامل معه بمنتهى الدقة، وأقسم أن أقتل أول من يخطئ منكم، أو أول من

قاطعه فجأة ذلك الرنين القصير لهاتفه، فانعقد حاجباه، وهو يلتقطه في سرعة، مغمغما.

- من ذا الذي يرسل رسالة قصيرة، في ظروف كهذه ؟!

ضغط أزرار الهاتف في سرعة، ولم يكد يقرأ

الرسالة القصيرة، التي حملتها شاشة الهاتف، حتى انعقد حاجباه في عنف، وسرت في جسده قشعريرة باردة كالثلج، وقلبه يغوص بين قدميه

" هل راقت لك الخدعة ؟! ! ع ص "

وبكل غضب الدنيا، هتف (شيمون)

- إنه هنا.

وكما قفزت منى، حاول البحث عن رقم الهاتف، الذي أرسل إليه تلك الرسالة القصيرة المستفزة

ولكن الشاشة لم تكن تحمل أية أرقام

وبعصبية أكثر، كرر (شيمون)، وهو يتلفت حوله:

- إنه هنا.

نطقها بالعبرية، في غمرة توتره، فهتف به الطبيب:

- خطأ

استدار إليه (شيمون) في حدة ، صائحًا :

- اصمت ، وقم بعملك فحسب .

قال الطبيب في عصبية :

- حديثك بالعبرية يفسد عملي أيضًا

قال (شيمون) في شراسة ، وهو يعيد هاتفه إلى جيبه :

- هناك ما هو أكثر خطورة على عملك أيها الطبيب .

ثم اندفع خارج المكان ، هاتفًا في صرامة

- أين ذهب لمن المحادثة ؟! أين (دونهام) ؟!

برز (دونهام) من خارج المكان ، وهو يقول في هدوء :

- رهن إشارتك يا أخي (شيمون)

أشار (شيمون) بيده ، وهو يقول في توتر

- (أدهم صبري) هنا .

اتسعت عينا (دونهام) ، وهو يهتف :

- هنا ؟!

أجابه (شيمون) ، بكل الغضب والسخط :

- نعم .. هنا .. في مكان ما هنا .. لقد أرسل إلىّ رسالة ساخرة شامتة قصيرة ، عبر الهاتف المحمول ، على نحو يؤكد أنه يتابع الموقف من الداخل

قال (دونهام) في حذر :

- ربما كان في الخارج ، و ...

قاطعه في صرامة :

- كلا .. إنه هنا .. لقد أرسل الرسالة ، فور تأكده من أن (جراهام) ليس زائفًا .

سأله (دونهام) في اهتمام :

- ومن أثار في ذهنك الشكوك يا أخي (شيمون) ، حول هوية (جراهام) ؟!

لوّح (شيمون) بذراعه ، مجيبا في غضب

- إنه ذلك المفتش الإيطالي السخيف ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يمسك كتف (دونهام) فجأة في قوة ، هاتفا

- أين ذلك المفتش ؟! أين ذهب ؟!

أجابه (دونهام) في توتر .

- لست أدري .. لقد التقى بك ، و ..

قاطعه (شيمون) :

- هل شاهده أحدكم يرحل من هنا ؟!

انعقد حاجبا (دونهام) ، وهو يقول في حزم :

- دقيقة واحدة ، وأمنحك جوابا قاطعا

التقط جهاز اللاسلكي ، ذا الموجة المحدودة وضغط زر اتصاله ، قبل أن يقول عبره في صرامة

- إلى كل الرجال في كل المواقع .. هنا القائد (دونهام) .. أريد تقريرا فوريا عن مفتش الشرطة

الإيطالي ، الذي دخل المغارة .. أريد معرفة متى غادرها ، ومن سجل عملية خروجه

لم يكد يتم عبارته ، حتى هتف الطبيب الإسرائيلي في توتر ، وباللهجة المصرية الخالصة

- إنه يستعيد وعيه .

توتر (شيمون) ، وهو يقول .

- يا للسخافة ! إنه لم يختر وقتا مناسبا لهذا

ثم عاد يمسك كتف (دونهام) في قوة ، قائلا

- اسمعني جيدا يا رجل .. مهما حدث ، أريدك أن تحمي هذا المكان .. لا أريد لأي مخلوق أن يقترب منه ، مهما كان الثمن ، حتى تتم هذه العملية بسلام .. النجاح والفشل هنا يعنيان مستقبل (إسرائيل) كلها .. هل تفهم ؟! إنه مستقبلنا

أجابه (دونهام) في حزم :

- اطمئن يا أدون (شيمون) .. سأحمي المكان بحياتي نفسها ، وسأمنع أي مخلوق من إفساد العملية ، بأي ثمن كان .

قال (شيمون) في حزم :

ـ هذا ما أنتظره منك .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت أحد رجال حراسة السفارة ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكي ، الذي يحمله (دونهام) ، وهو يقول :

ـ أدون (دونهام) .. المفتش الإيطالي لم يغادر السفارة أبدًا .

انعقد حاجبا (شيمون) في شدة ، في حين هتف (دونهام) ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكي :

ـ أأنت واثق من هذا يا رجل ؟!

أجابه الرجل في سرعة :

ـ سيارته ما زالت بالخارج خالية ، ولقد عثرنا على معطفه ، في الحمام الموجود بالطابق الأول ، حيث التقى بأدون (شيمون) .

وازداد انعقاد حاجبي (شيمون) في شدة .

فهذا كل يؤكّد مخاوفه ، في هذه اللحظات الحرجة

إن (أدهم صبري) هنا ..

داخل السفارة الإسرائيلية

وهذا يعني أيضًا أن العملية قد بلغت أخطر مراحلها ،

لتطورها على الإطلاق .

* * *



٧ـ الأسوار..

لم يكد ذلك الكهل الزائف، الذي حمل (جراهام) خارج مبنى المراقبة، يدلف إلى ذلك المنزل الآمن الخاص جدًا، الذي تدار منه أعمال المخابرات المصرية في (روما)، حتى استقبل هاتفه المحمول رسالة قصيرة، أعلنت عن وصولها برنين متقطع جعله يختطف هاتفه في سرعة، وهو يقول للمقدم (سمير)، مدير مكتب (روما):

ـ الرسالة التي كنا ننتظرها.

هب المقدم (سمير) من مقعده، وهو يندفع نحوه، هاتفًا:

ـ حقًا؟!

وبلهفة حقيقية، قرأ الاثنان الرسالة، قبل أن يظهر عليهما الارتياح، والمقدم (سمير) يقول:

ـ الخطة تسير بنجاح.

انتزع الآخر قناع الكهل الزائف عن وجهه، وهو يقول في إعجاب:

ـ سيادة العميد (أدهم) عبقري بحق.. إنه يمتلك قدرة مذهلة، على استنباط ردود فعل الآخرين.

ابتسم المقدم (سمير)، وهو يقول:

ـ لا تنس أن له باعًا طويلاً، في هذا المضمار، أيها الرائد.

ألقى الرائد (ممدوح) قناع الكهل جانبًا، وقال وهو يلقي جسده المجهد، على أقرب مقعد إليه:

ـ ألم يكن من الأفضل أن يخبرنا بتفاصيل خطته، حتى يمكنك القيام بدور أفضل فيها على الأقل؟!

هز المقدم (سمير) رأسه، قائلاً:

ـ المعرفة بقدر الحاجة أيها الرائد، وسيادة العميد (أدهم) يخبرنا بما تتطلبه أدوارنا فحسب، تمامًا

مثلما حدد له الموعد ، الذي ينبغي أن نتواجد فيه ، عند مبنى المراقبة .

وافقه الرائد (ممدوح) بإيماءة من رأسه ، وقال :

- بالضبط ، ولكن ما يدهشني حقًا هو كيف علم بما حدث داخل المبنى ؟ وكيف حدد الموعد المناسب ، لإبعاد رجل المخابرات الإسرائيلي ، قبل وصول رجال الشرطة الإيطالية ؟!

ضحك المقدم (سمير) ، قائلاً :

- أحقًا تتصور أن سيادة العميد (أدهم) يعرف كل شيء .

مرة أخرى ، وافقه الرائد (ممدوح) بإيماءة من رأسه ، قائلاً في انبهار :

- إنه أسطورة بحق .

اتجه المقدم (سمير) نحو جهاز الكمبيوتر في الركن ، وهو يقول :

- هذا صحيح ، ووفقًا لأوامره ، لابد أن نبلغ (القاهرة) بكل التطورات ، أولاً فأولاً .

أسبل الرائد (ممدوح) جفنيه ، محاولاً الاسترخاء في مقعده ، وهو يقول :

- لاتنس استخدام قناة الإنترنت المؤمنة ، والوسائل الشفرية الخاصة .

ابتسم المقدم (سمير) مغمغمًا :

- اطمئن .

جلس أمام جهاز الكمبيوتر ، وراحت أصابعه تكتب الرسالة ، التي طلب (أدهم) إرسالها إلى (القاهرة) ، قبل أن يستخدم برنامجًا خاصًا لتشفيرها ، وهو يقول بابتسامة واثقة :

- الأمريكيون منحوا أنفسهم حق التجسس ، على كل الاتصالات ، عبر شبكة الإنترنت ، منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١ م بحجة الحرب ضد الإرهاب الدولي (*) .

(*) حقيقة

ولكن هذا البرنامج ، الذي ابتكره عقل مصري عبقري ، يجعل الرسائل المتبادلة ، بينه وبين (القاهرة) ، عبر شبكة الإنترنت ، تبدو أشبه بمحاورات طفولية عابثة بين اثنين من المراهقين

تمتم الرائد (ممدوح) :

- كل جهاز أمني ، مهما بلغ إحكامه ، يحوي ثغرة ما

انتهى المقدم (سمير) من كتابة رسالته ، ثم ضغط زر إرسالها ، وهو يقول :

- هذا صحيح

تراجع في مقعده ... ينتظر إشارة الإرسال ، و...

وفجأة ، ظهرت رسالة تحذيرية خاصة على الشاشة

رسالة لم يكد المقدم (سمير) يلمحها ، حتى هب من مقعده ، هاتفًا :

- يا إلهي !

هتافه جعل الرائد (ممدوح) يقفز من مقعده ، متسائلًا في توتر :

- ماذا حدث ؟!

أشار المقدم (سمير) إلى الرسالة التحذيرية على الشاشة ، وهو يقول في توتر بالغ :

- الأمريكيون اخترقوا موقع المؤمن

اتسعت عينا (ممدوح) عن آخرهما ، وهو يهتف :

- رباه ! هل تعني أن رسائلك المشفرة قد وقعت في قبضتهم ؟!

أومأ المقدم (سمير) برأسه إيجابًا في شحوب ، فتابع الرائد (ممدوح) في توتر :

- يا إلهي ! لو أن تكنولوجيتهم المتطورة نجحت في حل شفرتها ، فمن المؤكد أنهم سيبلغون الإسرائيليين بمضمونها فورًا

شحب وجه المقدم (سمير) وهو يقول :

- وهذا يعني أن سيادة العميد (أدهم) سيصبح في خطر داهم رهيب .

ردد الرائد (ممدوح) :

- يا إلهي ! يا إلهي !

فوقوع تلك الرسالة المشفرة ، فى قبضة الإسرائيليين ، قد يحمل لـ (أدهم) كارثة .

كارثة رهيبة ..

* * *

تحرك (دونهام) فى نشاط جم ، عبر أروقة السفارة الإسرائيلية فى (روما) وهو يشير إلى رجاله ، قائلاً بمنتهى الصرامة :

- ابحثوا فى كل مكان .. حتى مكتب السفير نفسه .. لا تستثنوا أحداً .. افحصوا كل شخص ، وتأكدوا من أنه لا يخفى وجهاً آخر ، تحت قناع يشبه أحد الموظفين هنا .

قال سكرتير أول السفارة فى عصبية :

- هذا يعنى أن الجميع هنا مشتبه فيهم .

أجابه (دونهام) بنفس الصرامة :

- الرجل الذى نبحث عنه ، يمكنه أن ينتحل أية شخصية يشاء

لوّح سكرتير أول السفارة بيده ، قائلاً فى حدة :

- لا أحد يمكنه أن ينتحل شخصية ما ، بحيث تعجز العين الفاحصة عن كشف أمره .

اتجه (دونهام) نحو مكتبه مباشرة ، وهو يقول فى حزم :

- هذا الرجل استثناء من كل القواعد .

انعقد حاجبا السكرتير الأول فى غضب ، عندما رأى (دونهام) يغلق مكتب الأمن فى إحكام ، وقال فى عصبية :

- أنت .. إنه لا استثناءات ، وها أنت ذا تغلق مكتبك فى وجه رجال الأمن .

ابتسم (دونهام) فى سخرية ، وهو يقول

- مكتبى هذا يحوى كل أسرار السفارة ، وكل نظم الأمن السرية ، ومهمتى أن أمنع أى مخلوق من الوصول إليه .

ثم استدار، يقول لأحد رجال الأمن، بلهجة آمرة صارمة:

- احرس هذا المكتب جيدًا، وامنع أى مخلوق من الاقتراب منه، مهما كانت الأسباب، وإذا ما حاول بعضهم اقتحام المكتب عنوة، أو حتى اعترض على وجودك لحراسته، أو على الحدقة فى وجه الجميع

صمت لحظة، ثم التفت إلى سكرتير أول السفارة، مكملا:

- أطلق النار عليه فورًا.

احتقن وجه السكرتير، وهو يقول فى حدة

- سأشكو موقفك هذا للسفير نفسه

أجابه (دونهام) بنفس الصرامة الساخرة:

- فكرة جيدة، وبمناسبة ذهابك إلى مكتب السفير، الأفضل أن تصطحب أحد رجال الأمن

وبدا شامتًا، وهو يضيف:

- ليتأكد من هوية السفير على الأقل.

اتسعت عينا سكرتير أول السفارة فى دهشة مستنكرة، ولكن (دونهام) تجاهله تمامًا، وهو يواصل حركته النشطة فى المكان، وملقيًا أوامره لرجال الأمن هنا وهناك، حتى اطمأن تمامًا إلى أن مبنى السفارة قد تحول إلى حصن حصين، قبل أن يتجه إلى القبو مباشرة، وقال لرجال الأمن هناك فى حزم:

- لا أريد أن يدخل أو يخرج مخلوق واحد من هنا، دون أوامر مباشرة منى.

قالها، ودلف إلى القبو، متجهًا إلى القطاع الطبى الخاص، وما إن لمح (شيمون) داخل حجرة العناية المركزة، حتى اتجه نحوه، وهمس فى أذنه، بلهجة مصرية واضحة:

- كل شىء على ما يرام

همس (شيمون) فى توتر

- هل عثرتم عليه؟!

هزّ (دونهام) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ ليس بعد .

استدار إليه (شيمون) ، بعينين اشتعلتا غضبًا ، وتابع في سرعة :

ـ ولكنه لن يستطيع الوصول إلى هنا ، إلا لو تنكّر في هيئة جرثومة .

همس (شيمون) في حدة :

ـ هل تعرف ما الذي يمكن أن يحدث ، لو نجح (أدهم) في الوصول إلى هنا ، قبل أن ننتزع السر من زميله ؟!

أجابه (دونهام) بمنتهى الثقة :

ـ اطمئن يا أدون (شيمون) .. اطمئن

استدار (شيمون) يتطلّع إلى (عماد) ، الذي بدأ يتململ في رقاده ، وقال في توتر ، لم يستطع إخفاءه :

ـ لن أطمئن ، حتى تنتهي هذه العملية .

ابتسم (دونهام) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا أدون (شيمون) .. بالتأكيد .

في نفس اللحظة ، التي انتهت فيها عبارته ، فتح (عماد) عينيه ، مغمغمًا في إرهاق واضح :

ـ أين أنا ؟!

والتقط (شيمون) نفسًا عميقًا ، قبل أن يرسم ابتسامة ودودًا على شفتيه ، ويتقدّم نحو (عماد) ، ثم يربّت على كتفه ، قائلًا باللهجة المصرية :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا رجل .. أنت في وطنك

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ في (مصر) ..

هتف (عماد) في ارتياح غامر ، على الرغم من ضعفه وتهالكه :

ـ في (مصر) .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

واتسعت ابتسامة (شيمون) أكثر

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

راجع مدير المخابرات العامة المصرية ، للمرة الثالثة ، تلك الرسالة المشفرة ، التي تم إرسالها عبر شبكة الإنترنت ، قبل أن يهز رأسه ، مغمغما

ـ مدهش هو (ن ـ ١) هذا .

ثم رفع رأسه إلى مساعده الأول ، مستطردا بابتسامة هادئة .

ـ لا أحد يمكنه أن يتوقع ما يفعله أبدا

قال المساعد الأول في قلق :

ـ المشكلة أن الأمريكيين قد نجحوا في اختراق نظم تأمين قناة اتصالنا المصرية ، عبر شبكة الإنترنت ، وهذا يعني أن لديهم الآن نسخة من هذه الرسالة .

تراجع المدير في مقعده ، قائلا :

ـ المهم أن يفهموا محتواها

أشار المساعد الثاني بسبابته ، وهو يقول في قلق أكثر :

ـ التكنولوجيا الأمريكية متطورة للغاية يا سيدي ، والحظر الذي يصنعونه ، على تصدير التكنولوجيا ، يجعلنا نعتقد أن بإستطاعتهم حل شفرة الرسالة ، خلال نصف الساعة على الأكثر

التقى حاجبا المدير ، وهو يقول :

ـ أهذا رأي الخبراء ؟!

تنهد المساعد الأول في أسف :

ـ أجل يا سيادة المدير .

حك المدير ذقنه ، في تفكير عميق ، قبل أن يقول في بطء :

ـ الرسالة لا تحمل معلومات بالغة الخطورة ، ولكن فهم محتواها سيكشف موقف (ن ـ ١) الحالي

قال المساعد الثاني في سرعة :

- هذا في حد ذاته ، يمثل خطرًا رهيبًا ، على سيادة العميد (أدهم) .

تزايد انعقاد حاجبي المدير ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويتجه نحو نافذة حجرته الكبيرة ، التي وقف أمامها بعض الوقت في صمت ، عاقدًا كفيه خلف ظهره ، قبل أن يقول في حزم ، دون أن يلتفت إلى مساعديه :

- ينبغي أن يجد الخبراء وسيلة أخرى ، بخلاف قنوات شبكة الإنترنت المؤمّنة ، ما دام الأمريكيون قد وجدوا سبيلهم إليها .

تبادل المساعدان نظرة صامتة ، قبل أن يقول الأول :

- إنهم يعملون على هذا بالفعل يا سيادة المدير ، ويقولون إنهم كانوا يتوقعون ما حدث ، لذا فقد أوجدوا ثلاث قنوات سرية احتياطية ، تبدو بريئة المظهر تمامًا ، لتبادل الرسائل المشفرة والمعلومات العاجلة ، حتى يتم تأمين الوسيلة الجديدة

أومأ المدير برأسه متفهمًا ، وقال :

- التطورات الأخيرة كشفت الطبيعة الحقيقية للإدارة الأمريكية ، فهم يتشدقون دومًا بالحرية والمساواة ، ويتمحكون في هذا ، حتى أنهم يمنحون أنفسهم الحق في مهاجمة الدول الأخرى ، التي لا تطبق قواعد الحرية والديموقراطية ، من وجهة نظرهم ، وعندما تعلق الأمر بهم ، داسوا كل هذا بأقدامهم ، وانتهكوا حرية العالم كله ، في سبيل مصالحهم الشخصية

تبادل المساعدان نظرة صامتة ، قبل أن يتنحنح أحدهم في حرج ، ويقول في حذر :

- سيدي .. كنا نتحدث عن سيادة العميد (أدهم) ، وموقفه الحرج هناك .. في (روما)

صمت المدير طويلًا ، وهو يواصل التطلع عبر نافذة حجرة مكتبه ، المطلة على فناء مبنى جهاز المخابرات العامة ، قبل أن يجيب في حزم صارم :

- (ن - ١) محترف ، ويعرف كيف يواجه موقفًا كهذا

تنحنح المساعد الآخر ، قائلاً :

- لو أن الأمريكيين يمتلكون التكنولوجيا التي يتوقعها الخبراء ، فسيكشفون مغزى الرسالة ، خلال أقل من ثلاثين دقيقة من الآن ، وسيبلغون الإسرائيليين بأمرها ، بعد عشر دقائق أخرى على الأكثر .

أكمل المساعد الأول في توتر :

- ولو افترضنا أن الإسرائيليين سيتمكنون من أهمية الرسالة فوراً ، قبل إبلاغ (شيمون) في (روما) ، فهذا يعني أن هذا يحتاج إلى خمس دقائق أخرى .

التقط المدير نفساً عميقاً ، قبل أن يقول في حزم :

- هذا يعني أن أمام (ن - ١) خمسة وأربعين دقيقة .

ثم التفت إلى مساعديه ، مستطرداً في صرامة :

- وبالنسبة لرجل مثله ، هذا أكثر مما يحتاج إليه بالفعل .

اندفع المساعد الثاني يقول :

- لو لم يكتشف أمره قبلها .

وعاد حاجبا المدير ينعقدان بمنتهى الشدة ..

فهذا هو الأمر الوحيد ، الذي يضع (أدهم) في موقف خطير رهيب بالفعل ..

أن يكتشف أمره ..

ولكن السؤال الفعلي هو : أين (أدهم صبري) الآن بالضبط ؟!

أهو داخل السفارة الإسرائيلية في (روما) أم خارجها ؟!

ولو أنه داخلها ، فمن هو بالضبط ؟!

من ؟!

من ؟!

* * *

« من أنت بالضبط يا (أشرف) ؟! »

ألقت (منى) السؤال في توتر ، وعيناها تتفحصان

وجه (أشرف) في اهتمام شديد وهو يجيب بابتسامة هادئة :

ـ لقد أخبرتك يا سيادة المقدم .. اسمي (أشرف صالح) ، وأنا أحد مندوبي المخابرات المصرية هنا ، و ...

قاطعته في حزم :

ـ ولماذا حرفا الألف والصاد ؟!

رفع حاجبيه في دهشة ، بدت لها لسبب ما ، مفتعلة للغاية ، وهو يقول :

ـ وماذا عنهما ؟!

حاولت أن تجيب سؤاله ، إلا أن عينيه ، اللتين تتطلعان إلى عينيها مباشرة ، جعلتاها تشيح بوجهها ، مغمغمة :

ـ مجرد سؤال .

ثم لوّحت بيدها ، مستطردة في حدة ، عبّرت عن التوتر في أعماقها :

ـ هل سنكتفي بالوقوف هنا ، وانتظار ما ستسفر عنه الأحداث في الداخل ؟!

هزّ رأسه في بطء ، مجيبًا :

ـ كلا بالطبع

ثم مال نحوها ، مضيفًا في هدوء :

ـ أنا رهن إشارتك ، باعتبارك القائد هنا

فوجئت برد فعله هذا ، وكأنها لم تكن تنتظره أو تتوقعه ، فبذلت جهدًا خرافيًا ، لتسيطر على نفسها ، وشدت قامتها في اعتداد ، قائلة بحزم وصرامة القيادة :

ـ سنقوم بدورة ، حول مبنى السفارة لدراسة الموقف الأمني الجديد ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، وهي تحدّق في مبنى السفارة ، على نحو جعله يلتفت إلى حيث تنظر ، قبل أن ينعقد حاجباه في شدة

فهناك ، أعلى البوابة الرئيسية للسفارة ، كانت هناك آلة مراقبة ، تدور لترصد كل ما يحيط بها .

وفي تلك اللحظة بالذات ، كانت آلة المراقبة مركزة عليهما مباشرة ..

وكان هذا يعني أنه هناك من يراقبهم في اهتمام ، من داخل السفارة الإسرائيلية نفسها

والسؤال هو : منذ متى ؟!

منذ متى تتم مراقبتهما ؟!

ولم يطل بهم الوقت ، ليحصلوا على الجواب

ففي نفس اللحظة تقريبا ، التي كشفا فيها أمر المراقبة ، انفتح الباب المجاور للبوابة الرئيسية ، وخرجت منه ثلاث دراجات آلية ، يمتطي كلاً منها رجل أمن إسرائيلي مسلح .

وعلى الرغم من أن هذا لا يتفق قط ، مع كل القوانين والأعراف الدولية ، فقد انطلق راكبو الدراجات الآلية نحوهما مباشرة

وأخرج كل منهم مسدسه ..

وفي سرعة مدهشة ، جذب (أشرف) (منى) ، هاتفا :

- احترسي .

ومع هتافه ، انهالت عليهما الرصاصات

رصاصات صامتة ، انطلقت عبر كواتم للصوت ، المزودة بها مسدسات الإسرائيليين

وفي اللحظة المناسبة تماما ، وبجذبة قوية من يد (أشرف) ، انحنت (منى) ، فتجاوزتها الرصاصات الصامتة بسنتيمترات قليلة

ولكن إحدى الرصاصات أصابت خزان دراجتها الآلية

واشتعل خزان الدراجة لحظة واحدة .

ثم دوى الانفجار

انفجرت دراجة (منى) الآلية ، على مسافة متر واحد منها ، ومن (أشرف)

ومع عنف الانفجار ، طار جسد (منى) عاليا ، ليرتطم بجسد (أشرف) ويسقط كلاهما أرضا ، في



ومع عنف الانفجار ، طار جسد (عمر) عالياً ، ليرتطم بجسد (أشرف) ويسقط كلاهما أرضاً

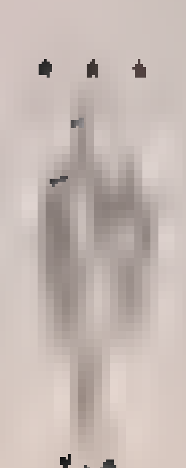
نفس اللحظة التي لمحاهما فيها ، ترجلت رجال الأمن الإسرائيليين الثلاثة

وفي لحظة واحدة ، وعلى مسافة أمتار قليلة من مبنى السفارة الإسرائيلية ، وفي تحد سافر للسيادة الإيطالية ، ارتفعت فوهات المسدسات الثلاثة نحو (أشرف) و (منى) ، في عرض الطريق . و .

وابتسم الموت ..

في ظفر .

* * *



٨ ـ الحقيقة ..

لم يكد الهاتف الخاص بمستر (×) يطلق رنينه ، حتى التقطه هذا الأخير في سرعة ، ووضعه على أذنه ، قائلاً في صرامة :

ـ كلي آذان مصغية .

أتاه صوت عميله في (باريس) ، وهو يقول في سرعة :

ـ كل شيء على ما يرام أيها الزعيم

اعتدل مستر (×) في مقعده ، وهو يسأله في اهتمام :

ـ هل راقبت (نور) جيدًا ؟!

أجابه الرجل :

ـ بالطبع أيها الزعيم .. لقد غادرت منزلها ، وهي تحمل حقيبة سفر واحدة كبيرة ، واستقلت سيارتها

الخاصة ، التي حملتها إلى المطار ، للحاق بطائرة (روما) .

سأله مستر (×) :

ـ وهل كانت وحدها ؟!

أجابه الرجل بالإيجاب ، فسأله في صرامة شديدة :

ـ أأنت واثق ؟!

أتاه الجواب في سرعة وحسم :

ـ تمام الثقة .

صمت مستر (×) بضع لحظات ، قبل أن يسأله :

ـ هل عدت لفحص منزلها ؟!

أجابه الرجل :

ـ لقد فعلت كل ما أمرتني به أيها الزعيم ، وتسللت إلى منزلها ، مستخدمًا الأرقام السرية التي أخبرتني بها ، لتجاوز نظم الإنذار والأمن هناك ، وكانت كلها صحيحة تمامًا .

وصمت فجأة ، ليسأل في تبرم :

- كيف تعرف كل هذه الأمور أيها الزعيم ؟!

صاح به مستر (×) ، في غضب صارم :

- ماذا وجدت داخل المنزل ؟!

ارتبك الرجل ، وهو يجيب في سرعة :

- صندوق التحكّم الكهربي كان شبه تالف بالفعل ، وتحيط به آثار حريق محدود

انعقد حاجبا مستر (×) في شدة ، وهو يسأله :

- هل تأكدت من كل شيء بنفسك ؟!

أجابه الرجل مخلصًا :

- بالطبع أيها الزعيم .. صندوق التحكّم الكهربي تم إصلاحه بأسلوب بدائي ، ولكنه ما زال يحتاج إلى تغيير كامل .

تراجع مستر (×) في مقعده ، وهو يفكّر في عمق ، حتى إن عميله الفرنسي قد شعر بالقلق ، وتساءل في حذر :

- أما زلت هنا أيها الزعيم ؟!

أجابه مستر (×) ، في عصبية وخشونة :

- نعم .. مازلت هنا

ثم عاد يتابع بحركة حادة ، مستطردًا بلهجة آمرة صارمة :

- فليكن يا رجل .. قم بزرع أجهزة للتلصص والمراقبة ، في كل الأماكن التي أخبرتك بها ، ثم غادر المنزل ، بعد إعادة تشغيل وسائل الأمن مرة أخرى .. إياك أن تنسى هذا .. هل تفهم ؟!

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول في حماسة :

- اطمئن أيها الزعيم .

أنهى مستر (×) الاتصال ، وتراجع مرة أخرى في مقعده ، وكل ذرة في كيانه تنهمك في تفكير عميق

عميق إلى أقصى حد ..

فما حدث ، في أثناء اتصاله الأخير مع (نورا) ، لم يكن قد فارق ذهنه بعد

ولم يجد قبولاً لديه أبداً .

ربما كانت تحرياته تؤكد قصة (نورا)

ولكن (نورا) نفسها لم تكن طبيعية . عندما عاودت الاتصال

لم تكن طبيعية أبداً ..

وهو خبير في مثل هذه الأمور

خبير إلى درجة لا يتصورها أحد .

وهذا وحده سر زعامته لمنظمة كبرى كهذه

وسر نجاحه في القيام بكل هذه العمليات بالغة الخطورة ، دون أن ينكشف أمره

أو حتى يعاني من خطر حدوث هذا

التكنولوجيا الفائقة التي يستخدمها ، تؤمّن اتصالاته تماماً

حتى الأمريكيين ، بوسائلهم المتطوّرة ، لا يمكنهم كشف موقعه أبداً ، مهما حاولوا ، أو فعلوا

هذا ما يثق به تماماً .

وهو حذر ، إلى درجة لا يمكن أن يتصوّرها مخلوق واحد ..

حذر إلى درجة الاستعداد لقتل أي مخلوق ، ومحوه من الوجود تماماً ، لو شك لحظة واحدة ، في أنه من الممكن أن يهدد وجوده .

ومع ما يشعر به من قلق ، كان أسهل ما يمكن أن يفعله ، هو أن يصدر قراره بقتل (نورا كولرمان) فوراً ..

ولكن الحذر نفسه منعه من اتخاذ مثل هذا القرار

فلا بد أن يعرف أولاً ماذا هناك ؟!

لماذا كانت مضطربة ومتوترة إلى هذا الحد ، عندما عاودت الاتصال به ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

وبقدرة مدهشة ، يندر أن تتوافر لبشري ، أقنع عقله

وجسده بالاسترخاء في مقعده، وأغلق عينيه، وهو يرسم في ذهنه صورة لمن لم تره عيناه، في أثناء اتصاله الأخير بها ..

ومع اعتصار ذهنه، لم يحصل سوى على صورة واحدة ..

صورة مسدس، مصوب إلى رأس (لورا)، خارج نطاق رؤية جهاز الاتصال المرئي .

ومع كل ثانية تمضي، كانت الصورة تتضح أكثر

وأكثر ..

وأكثر ..

وعندما فتح مستر (×) عينيه أخيرًا، كانت الصورة قد اتضحت تمامًا في خياله

وتألقت عيناه على نحو عجيب

تألقت ببريق رهيب ..

مخيف

وحشي

وفي هدوء عجيب، لا يتفق قط مع الشراسة الرهيبة، التي ارتسمت على ملامحه كلها، التقط هاتفه الخاص، المجهز للاتصال عبر الأقمار الصناعية، وضغط أزراره، ثم قال في حزم صارم:

- (أنبرتو) أنا الزعيم .. اسمعني جيدًا

وعادت عيناه تتألقان، وهو يتابع:

- (لورا غيرمان) ستصل إلى (روما)، خلال ساعة واحدة على الأكثر، وفور وصولها، أريدك أن تفعل ما سأخبرك به بالضبط

وراح يلقي أوامره تفصيلية في (روما).

ويضع خطة جديدة ..

خطة، لم يدر هو نفسه، كم سيكون لها من أثر، على منظمته كلها ..

بل على العالم ..

العالم أجمع ..

وبلا استثناء ..

* * *

استعاد عقل (عماد) صفاءه فى بطء ، وهو يتطلّع إلى (شيمون) ، الذى حافظ على ابتسامته الودود ، وهو يقول :

- حمدًا لله على سلامتك يا بطل .

سأله (عماد) فى حذر :

- من أنت بالضبط ؟!

مال (شيمون) نحوه ، وهو يقول بلهجته المصرية :

- اطمئن يا بطل .. كلانا يعمل فى فريق واحد .

قال (عماد) فى بطء ، وهو يتفحّص ملامحه جيدًا :

- يلوح لى أننى قد رأيتك من قبل ، ولكننى لست أذكر من أنت بالضبط ؟!

أجابه (شيمون) فى هدوء :

- اسمى (عبد الرحمن) .. مندوب من رياسة الجمهورية ، وأنا هنا منذ أخبرونا أنك على وشك استعادة وعيك .

شعر (عماد) بآلام تنتشر فى جسده كله ، وبصداع عنيف يكتنف رأسه ، وهو يسأل فى حذر غريزى ، يتميّز به كل رجل مخابرات محترف :

- أين أنا بالضبط ؟!

أجابه الطبيب الإسرائيلى ، بلهجته المصرية :

- أنت هنا ، فى مستشفى القوات المسلّحة ، فى حى (المعادى) .

سأله (عماد) ، بنفس الحذر الغريزى :

- أيعنى هذا أنه باستطاعتى رؤية النيل من هنا ؟!

ابتسم الطبيب ، مجيبًا :

- كلا بالطبع .. إنك ترقد داخل حجرة العناية المركّزة ، ولا يمكن فتح النوافذ لحظة واحدة ، حرصًا على التعقيم الصحى فى المكان .

تطلّع إليه (عماد) بشىء من الشك ، فأطلق (شيمون) ضحكة هادئة ، وهو يقول :

- عظيم يا رجل .. تتصرف كمحترف حقيقي .

ثم اتجه إلى تلفاز مرتفع ، وضغط زر تشغيله ، مستطردًا :

- ولكن اطمئن .. إنك بالفعل في وطنك .

اشتعل التلفاز ، وراح يبث نشرة أخبار مصرية خالصة ، تم تسجيلها وإعدادها مسبقًا ، في حين التقط (شيمون) جريدة مصرية ، ناول (عماد) إياها ، متابعًا بنفس الابتسامة :

- أيكفيك هذا ؟!

ألقى (عماد) نظرة على الجريدة ، وأخرى على شاشة التلفاز ، قبل أن يسأل في حذر أكثر :

- ولماذا لم يتم نقلي إلى المستشفى التابع لجهاز المخابرات مباشرة .

هز (شيمون) كتفيه ، قائلاً :

- لست أدري .. لم يخبرني أحد لماذا أتوا بك إلى هنا .. كل ما علمته هو أنك هنا ، وأنه من الضروري أن تخبرنا أين أخفيت تلك البطاقة .

سأله (عماد) ، بكل حذر الدنيا :

- أية بطاقة ؟!

أجابه (شيمون) في بساطة :

- بطاقة تسجيل الصور الرقمية .. لقد التقطت صور تلك الأوراق .. أليس كذلك ؟!

التقى حاجبا (عماد) ، وهو يتطلع إلى الأطباء والممرضات في الحجرة بتوتر ، فاعتدل (شيمون) ، قائلاً :

- آه .. أنت على حق .

ثم قال لكبير الأطباء في صرامة آمرة :

- اتركونا وحدنا .

انصرف الجميع على الفور ، وقال كبير الأطباء ، قبل أن يغلق باب الحجرة خلفه :

- سنكون بالخارج .. اضغطوا الجرس ، لو احتجتم إلينا .

ولم يكد يغلق الباب، حتى جذب (شيمون) مقعدًا، وجلس إلى جوار فراش (عماد)، وهو يسأله في اهتمام:

- لقد التقطت صور أوراق الإسرائيليين.. نحن نعلم هذا، ولكننا لم نعثر على بطاقة تسجيل الصور الرقمية أبدًا.

شيء ما في أعماق (عماد)، كان يشعر بحذر زائد، إلا أنه عاد يتطلع إلى الجريدة المصرية، ونشرة الأخبار في التلفاز، وأدار بصره في المكان، وقرأ بعض اللوحات الإرشادية العربية، قبل أن يقول:

- لم يكن من الممكن أبدًا أن أتركها لهم.. كان من الضروري أن تصل الصور إلى هنا بأي ثمن.

ربّت (شيمون) على كتفه، قائلاً:

- تفكير رائع بحق.

تابع (عماد)، وكأنه لم يسمعه:

- لقد التقطت الصور بسرعة، ثم انتزعت بطاقة تسجيل الصور الرقمية، و..

سأله (شيمون) في لهفة، لم يستطع كتمانها:

- وماذا؟!

تطلع إليه (عماد)، وقد استعاد حذره وتوتره، فأجبر (شيمون) نفسه على الابتسامة، وهو يقول:

- أنت تعلم ما يمثله هذا من أهمية، في ظل الظروف الدولية المشتعلة هذه الأيام.

سعل (عماد) مرتين، قبل أن يومئ برأسه متفهمًا، وهو يغمغم في ضعف وألم:

- نعم.. أعلم هذا.

والتقط نفسًا عميقًا، ثم أسبل جفنيه في تهالك، فعاد (شيمون) يربّت على كتفه، قائلاً:

- هيا يا بطل.. أخبرني أين أخفيت بطاقة التسجيل الرقمية لا بد أن يتوصل إليها رجالنا، قبل أن يفعل الإسرائيليون هذا، ونخسر كل شيء.

لتعته العبارة الأخيرة ، وتزلت من نفسه كل أثر للتوتر والتردد ، فالتقط (عماد) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ فليكن .. سأخبرك أين وكيف أخفيتها .

وبذل (شيمون) جهدًا خارقًا بحق ، ليمنع نفسه من الصراخ ظفرًا ، وانطلق بريقًا كاد يشعث من عينيه ، ليضيء الحجرة كلها .

فبعد دقيقة واحدة ، وبعد جملة واحدة ينطق بها (عماد) سيتحقق للإسرائيليين النصر ، في هذه العملية ..

النصر الكامل .

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث والأخير بإذن الله

[الورقة الأخيرة]